مظاهر الحضارة في بلاد البُجة

إعداد

أ.محمد علام حامد محمد أ.م.د. شيماء عبد الحميد البنا
باحث ماجستير تخصص تاريخ اسلامى الاستاذ المساعد التاريخ الاسلامى
بقسم التاريخ بكلية الآداب – جامعة دمنهور

دورية الانسانيات. كلية الآداب. جامعة دمنهور
العدد الثانى و الستون - يناير -الجزء الثانى - لسنة 2024

مظاهر الحضارة في بلاد البُجة

أ.محمد علام حامد محمد

أ.م.د. شيماء عبد الحميد البنا

ملخص:

تمتلك كل دولة (أو قبيلة) عدداً من المقومات التي يمكن أن تحدد مكانتها بين الدول (أو القبائل) التي تمكِّنها من الحفاظ على وجودها، ومدى قدرة هذه المقومات على نهضة هذه الشعوب وقدرتها على الحفاظ على هويتها وحضارتها، والمقومات التي تقوم عليها الدول أو القبائل عديدة، منها:

1-المقومات الحضارية

2-المقومات الاجتماعية

3-المقومات السياسية

4-المقومات الاقتصادية

5-القوة العسكرية

وقد قامت بلاد البُجة على عدد من المقومات في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وهذا ما سيتناوله البحث.

Summary:

Each state (or tribe) has a number of elements that can determine its position among the states (or tribes) that enable it to maintain its existence, and the extent to which these components are capable of the renaissance of these peoples and their ability to preserve their identity and civilization, and the components on which states or tribes are based are numerous, including:

1-Cultural components
2-Social Components
3-Political Fundamentals
4-Economic Fundamentals
5-Military power

The Beja country has been based on a number of elements in the political, economic and social aspects, and this is what the research will address.

المُقَدِّمَةُ

الحمدُ للهِ نَحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أعمالنا ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ ، وأشهد أنَّ لا إله إلا الله وَحْدَهُ لا شريكَ له ، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله ، صَلَّى اللهُ عَلَيه وعلى آله وصَحْبِه وسَلِّمْ تسليمًا كثيرًا .

تبلغ مساحة أراضي البُجة حوالي "110,000 ميلاً مربعاً "، موزعة بين مصر والسودان وإرتيريا، وتتصف هذه المنطقة بجغرافية خاصة، تغلب على معظمها الصبغة الصحراوية، وتفصلها عن أرض النوبة جبال منيعة.

فأوطان البُجة تمتد من أسوان في الشمال إلى الأطراف الشمالية لهضبة الحبشة في الجنوب، ومن البحر الأحمر في الشرق إلى نهر النيل في الغرب ، وتفصلها عن أرض النوبة جبال منيعة، وتمثل هذه الأرض الوطن الأصلي لقبائل البُجة من أقدم العصور، غير أن هذه القبائل كانت تنتقل خلال تاريخها الطويل ناحية الغرب أو ناحية الشمال مؤقتاً، ثم لم تلبث أن تعود إلى أوطانها الأصلية ، وذلك بحكم البحث عن المرعى .

وظلت قبائل البجة تسكن هذه المنطقة منذ آلاف السنين من الزمان، تزاول الرعي والقليل من الزراعة التي لا تكاد تكفي احتياجاتهم، لأن أرضهم مقفرة غير معطاءة، ولذلك جُبِلوا على حياة التقشف والجدب، فيعرفون بسيماهم فتكون أجسامهم ضامرة ووجوههم نحيلة وسيقانهم دقيقة ، يغلب على ألوانهم السواد والحمرة ، وكان سهل البطانة هو أكثر بواديهم مطراً وأخصبها تربة، وقد اعتمدوا على الإبل في السلم والحرب والحل والترحال.

واختلف النسابة والمؤرخون حول أصل البُجة؛ فهي بضم الباء وفتح الجيم، وبعضهم يكتبها "بُجاة"، وقيل إنَّ اسمها مصري قديم؛ تعني ساكن الصحراء (البدو) ، وينسبهم بعض المؤرخين إلى أولاد كوش بن حام بن نوح –عليه السلام– وقيل إن أصلهم من العرب الذين رحلوا في قديم الزمان واستقرُّوا في هذه البلاد التي سُمِّيتْ بأرض المعدن لكثرة وجود مناجم الذهب بها ، فملامحهم وأخلاقهم عربية محضة ، وذكر آخرون أنهم من جنس سام بن نوح ، وقال الطبري (شيخ المؤرخين المسلمين) أنهم جنس من الأثيوبيين .

والبُجة في الوقت الحاضر ينقسمون إلى أربع قبائل كبيرة هي: البشاريون في الشمال، يليهم الأمارار، ثم الهدندوة، ثم بني عامر، ويمتد هؤلاء من طوكر في الشمال إلى حدود إرتيريا في الجنوب، كما توجد بعض القبائل الصغيرة مثل الأشراف، والأرتيقا والحلنقات وغيرهم.

وقد كان لموقع بلاد النوبة والبُجة بين قارة أفريقيا وشبة الجزيرة العربية أثره في جعل هذه البلاد ملتقى الطرق البحرية بينهم، كما كان لحركة التجارة أهمية ملحوظة في توثيق الصلات بين بلاد البُجة وشبه الجزيرة العربية، فقد كان ميناء (باضع) هو أقدم ميناء بين بلاد البُجة، وشبه الجزيرة العربية.

لذلك هاجرت الكثير من القبائل العربية إلى بلاد البُجة منذ زمن طويل ، وبعد استقرار العرب على ساحل البحر توغلوا في بلاد البُجة ، فخالطوا سكانها واندمجوا معهم وتصاهروا وتمازجوا ، فنتج عن ذلك الحدارية أو الحضارمة وهم أبناء العرب المتزوجون من نساء البُجة، ومن أشهر القبائل العربية المهاجرة إلى بلاد البُجة الحضارمة، وقبيلة بلي وربيعة، ووجدت تلك القبائل العمل في مجال التعدين في مناجم الذهب ببلاد البُجة فرصةً كبيرةً ، حتى انفردت قبيلة ربيعة بالتعدين ، وكان الفضل لقبيلة جهينة في نشر الإسلام في بلاد البجة.

ولم يهتم الفاتحون العرب ببلاد البجة في بدايات الفتح الإسلامي، إلا أنهم بدأت أنظارهم تتجه إليها عند فتح مصر سنة 20هـ/641م، لاستثمارها من جهة، ولتأمين حدود مصر الجنوبية من جهة أخرى، وكان (عمرو بن العاص ، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح) ولاة مصر في عهد الخليفتين (عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان) –رضي الله عنهما–، قد وجَّها حملات لفتح النوبة ، ولكنهما أهملا بلاد البُجة لأنها حتى ذلك الوقت لم تُشكِّل خطراً على العرب المسلمين في مصر، حيث استقر في نفوس العرب أنَّ ديار البُجة ليست ديار حرب، ولم يفطنوا إلى ما تحتويه من كنوز.

وكان من عادة البجة نقضُ العهودِ وشنُّ حملاتٍ وغاراتٍ على صعيدِ مصرَ وعلى المصريين ، فتصدى لهم أول مرة والي مصر (عبيد الله بن الحبحاب) سنة 107هـ / 725م ، وأزاحهم من صعيد مصر وعقد معهم اتفاقية كبَّلهم فيها بعدة شروط ، واستمرت تلك المعاهدة قرناً من الزمان ، ولكنهم عادوا مرةً أخرى لشنِّ غاراتٍ على بلاد الصعيد سنة 216هـ / 831م في عهد الخليفة العباسي المأمون ، فأرسل حملةً قويةً بقيادة والي مصر (عبد الله بن الجهم) فانتصر عليهم وأجبرهم على الخضوع للمسلمين ، وعقد معاهدةً معهم ، وكذلك كانت حملات أخرى مثل حملة (ابن القمي) ، وحملة (عبد الرحمن العمري) ؛ بسبب إساءة البجة بالتطاول على شخص الرسول الكريم (ﷺ) أو الاعتداء على المسلمين وهم يُصلُّون صلاة العيد .

وبعد ذلك سادت قبيلة ربيعة على بلاد البُجة بحكم مصاهرتهم وزواجهم من بناتها، وكان نظامُ التوريثِ عند البُجةِ يُحرَم منه الابن ويكون لابن البنت، حيث كانوا يورثون ابن البنت وابن الأخت، وهذا النظامُ عُرف بنظام الأمومة، فأنسابهم كانت من جهة النساء، مما أدى إلى تحكُّم بني ربيعة في بلاد البُجة بل وحكمها، وخضعت هذه البلاد للحكم الإسلامي بقيام الإمارة العربية التي أقامها بنو ربيعة فيها وتولَّوْا حكمَها.

وكان للبجة حضاراتِهم ، شأنهم شأن مختلف الشعوب طبقاً لطبيعة بلادهم وعاداتهم وتقاليدهم، فلم يعرفوا نظام الدولة على الإطلاق، فقد كانت لديهم ممالك عدة متنافرة متناحرة، يسودها النظام القبلي الذي كان يُكرِّس الطبقية ويجعل لشيخ القبيلة السلطة المطلقة.

ولكن الأهم اقتصادياً كان غِنى تلك البلاد بمعادن الذهب والفضة والزمرد والزبرجد، والحديد والنحاس، فهذا الشعب فقيرٌ في ظاهره غنيٌّ في باطنه.

وفيما يتعلق بمنهجية الدراسة فقد اتبعت المنهج التاريخي بأدواته ، وهي الوصفي والسردي والتحليلي، مِن حيث وصف وسرد وتحليل الأحداث من خلال ما توفر من مصادر ومراجع.

وينقسم البحث إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: النظام السياسي في بلاد البُجة.

المبحث الثاني: الحياة الاقتصادية في بلاد البُجة.

المبحث الثالث: الحياة الاجتماعية في بلاد البُجة:

1-نظام التوريث عند أهل البُجة.

2-البيئة وأثرها في تشكيل الهوية البجية.

3-بعض العادات والتقاليد للبُجة.

المبحث الأول: النظام السياسي في بلاد البُجة

عَرِفت أرض وشعوب البُجة العديد من النظم السياسية قديماً، فقد قامت فيها ممالك، منها المملكة الرابعة في شرق السودان إلى ساحل البحر الأحمر، فيما بين حدود الحبشة وحدود أسوان واتخذوا حاضرتها "سواكن" وميناءها "عيذاب"[1]؛ الأولي مملكة علوة

[1] – محمد صالح ضرار، تاريخ شرق السودان "ممالك البُجة، قبائلها وتاريخها"، مكتبة التوبة، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى، 2012م ، ص86.

قامت في السودان الأوسط وعاصمتها "سوبا"[2]، والثانية على النيل في شمال السودان وعاصمتها "دنقلة[3]، والثالثة مملكة أكسوم[4] في الحبشة، والرابعة مملكة البُجة بين أسوان وصحراء قنا حتى مصوع[5].

وكانت هذه المملكة لا تفتر عن انتهاك حرمات الحدود المصرية والتوغل في الصعيد، والتعرض للأرواح والأموال، لا ترهبها قوة ولا تصدها المواثيق، وتمتد حدودهم من صحراء قنا إلى ما يقارب حدود الصومال، واتخذوا مساكنهم في الصحراء الشرقية من وادي النيل، وهم من حدود مصر إلى جنوبي مصوع وجزائر دهلك[6].

ولكن البجة كانت تميل أكثر إلى النظام القبلي، فالبُجة قبائل متعددة، ونقصد بكلمة قبيلة أنهم في الغالب ينتمون إلى نسب واحد، ويرجعون إلى جدٍّ واحد، ولهم لهجتهم المميزة، كما أنهم يمتلكون عصبية ضد العناصر الخارجية، وكلمة بجا مشتقة من كلمة "المجا" وتعني الحارس والمحارب، حيث كانت مهمة هذه القبائل مقتصرة على الحروب وحراسة الصحراء، وقد عرفت هذه القبائل قديما باسم المازاوي أو "الماجاوي" والعرب هم الذين أطلقوا على القبائل التي تسكن الصحراء جنوب مصر اسم البُجة أو البجا[7].

---

[2] – سوبا: عاصمة مملكة علوة ومقر الملك والسلطة الحاكمة، وهي من المدن التي امتدت إلى أجزاء واسعة من حدود السودان، فمن جهة الشمال تقع حدودها عند المنطقة ما بين الشلال الخامس وبربر، وبعض جهات دارفور وكردفان غرباً، وجنوباً حتى الجزيرة بين النيلين الأبيض والأزرق، ويحدها من الشرق مملكة أكسوم، وإلى الشمال من مملكة علوة توجد مملكة الأبواب، وتقع مدينة سوبا على بعد 14 ميل جنوب الخرطوم على الضفة اليمنى من النيل الأزرق، عند خط طول 15 :31 شمالاً ودائرة عرض 32: 36 شرقاً – ينظر: مصطفى محمد مسعد، الإسلام والنوبة في العصور الوسطي "بحث في تاريخ السودان وحضارته حتى أوائل القرن السادس عشر الميلادي"، الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الأولى، القاهرة – مصر، 2011م، ص34.

[3] – دنقلة: أحد ممالك النوبة القديمة، تقع على نهر النيل وراء الشلال الأول وتمتد إلى الجزيرة، وكان يسكن جزءها الشرقي وشمالها الشرقي قبائل البُجة الرُحل، والتي قامت على أنقاض مملكة مروي القديمة في القرن السادس الميلادي – ينظر: عبد الله حسين، السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية، مؤسسة هنداوي، 2013م، ج1، ص81.

[4] – مملكة أكسوم عبارة عن مستطيل طويل يبلغ طوله حوالي 300كم، وعرضه 160كم، بين خطي العرض 13: 17 شمالاً، وخطي طول 30: 40 شرقاً، وهي مملكة امتدت من إقليم كرن في الشمال إلى إقليم آلاقي في الجنوب، ومن إقليم أدوليس المتواجد على الساحل شرقاً إلى مشارف تكازي غرباً – ونشأت مملكة أكسوم أعلى جبال عدوة الشهيرة شرق إقليم تجراي بأثيوبيا – ينظر: نادية ماجي، مدينة أكسوم اليمنية بالحبشة "دراسة حضارية"، مجلة عصور، العدد 26 – 27، 2015م، ص55.

[5] – محمد صالح ضرار، تاريخ شرق السودان ممالك البُجة قبائلها وتاريخها، ص86.

[6] –مصطفى محمد مسعد، البُجة والعرب في العصور الوسطى، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1959م ، ص12.

[7] – شيماء البنا، أرض البجة محوراً للصراعات السياسية الإسلامية (241 :260هـ – 854 :873م)، مجلة المؤرخ العربي، العدد (26)، ج2، 2018م ، ص134.

-طبقات المجتمع في بلاد البُجة :

وكان المجتمع الطبقي في بلاد البُجة كغيره من المجتمعات القبلية ينقسم إلى عدة طبقات اجتماعية تتأثر في تشكيلها بالحالة الاقتصادية والمكانة الاجتماعية والأصل الذي ينتمي إليه أصحاب كل طبقة[8]، فكان هناك:

1-طبقة الصرحاء[9] الأحرار أبناء القبيلة، وهم الذين يرتبطون فيما بينهم برابطة الدم، وهم جمهور القبيلة ودعامتها، وكانوا يهبون لتلبية نداء القبيلة والتضامن معها ظالمة أو مظلومة، والقبيلة نظير ذلك تصبغ عليهم حمايتها، وتمنحهم حق التصرف كالإجارة، ولكنها لا تبيح لهم الخروج عن عاداتها وتقاليدها، فإذا سلك الفرد سلوكاً مشيناً يسئ إلى سمعة القبيلة ويجلب عليها العار نبذته القبيلة وأخرجته منها[10]، فيعد خليع قبيلته وعندئذ يلجأ إلى قبيلة أخرى، فيعد جاراً لها أو مولى من مواليها، أو يلجأ إلى الصحراء، ويعيش على لقائم سيفه وحد نصله، ويصبح صعلوكاً من الصعاليك أو مغامراً ليتخلص من شقاء الفقر وذل الفاقة، إذا كان أبِيَّ النفس ذو أنفة[11].

2-طبقة الموالي فيدخل فيها الحلفاء وهم الخلعاء الذين خلعتهم القبيلة وفصلتهم عنها وتبرأت منهم لجرائم ارتكبوها، ثم دخلوا في قبيلة أخرى على أساس الموالاة بالجوار، وكان الخلع يتم في الأسواق والمحافل، كما يدخل الصعاليك المغامرون، وأيضاً يدخل في هذه الطبقة العتقاء، وهم الذين كانوا في الأصل عبيداً ثم أُعتِقوا[12].

وكان لهؤلاء الموالي سواء أكانوا حلفاء أو عتقاء نفس حقوق أفراد القبيلة، يوالونها وعليهم نفس الواجبات، ولكن رابطة الجوار كانت موقوتة، فهي تبقى ببقاء الجار في كنف مُجيره وتحل بخروجه، وفي هذه الحالة يعلن المُجير أنه في حِلٍّ من حمايته، ولكن رابطة الحلف تبقى، فهي رابطة قوية غير مؤقتة، وكانت هناك أحلاف فردية وأحلاف جماعية،

---

[8] – شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (ت328هـ)، العقد الفريد، تحقيق مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1983م، ج5 ، ص229.

[9] – الذين يجمع بينهم الدم الواحد والنسب العريق والجد المشترك، وهم الذين كانوا يمثلون الطبقة العليا، أصحاب المنزلة الاجتماعية الرفيعة، فكانوا يتمتعون بالحرية والاستقرار والأمان في ظل حماية القبيلة، فإذا ما ارتكب أحدهم إثماً أو جرَّ على قبيلته وبلاً؛ كان أفراد القبيلة يتضامنون لنصرته ظالماً كان أو مظلوماً، فامتلأ قلبه بالفخار والثقة الزائدة بالنفس التي جعلته لا يتردد في استعمال حق الأحرار في واحد من أهم مظاهر الشرف والرفعة في هذا المجتمع وهو الإجارة – ينظر: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، السيرة النبوية "سيرة ابن هشام"، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ج2، 1990م، ص23– 24.

[10] – السيد عبد العزيز سالم، التاريخ السياسي والحضاري للدول العربية، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، 1976م، ص35.

[11] – فيليب حتي – أدورد جرجي – جبرائيل حبور، تاريخ العرب (مطول)، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت – لبنان، 1949م، ص34.

[12] – جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، المجمع العلمي العراقي، بغداد – العراق، ط2، 1993م، ج1 ص509 وما بعدها.

كأن تتحالف قبيلة مع قبيلة أخرى، والحلف في هذه الحالة يكون أشبه بمعاهدة، ويتم الحلف عن طريق المواثيق والعهود[13].

3–طبقة الرقيق فكانت تمثل طبقة كبيرة في المجتمع القبلي، والرقيق إما أبيض وإما أسود، ومعظمهم يُشترى في الأسواق وبعضهم يُجلب كأسرى في الحروب[14]، أما العبيد فكانت محرومة من كل الامتيازات في المجتمع القبلي، وكانت مثقلة بالواجبات نحو ساداتها، وكان يوكل لهم بالأعمال التي يأنف السادة وأبنائهم ومواليهم من العمل بها، مثل الرعي والحدادة والحجامة والحراسة[15].

وكان مجتمع القبيلة في البُجة كغيره من المجتمعات البدوية فيه الأغنياء والفقراء، فكان فريق يتمتع بالثراء والترف وفريق يعاني من مرارة الفقر والبؤس، فالفريق الأول كان يمتلك الأرض وخاصةً أرض المعدن ويعمل بالتجارة، فكوَّنوا ثرواتهم من عملهم، وكان أثرياء البُجة قِلَّة إذا ما قيسوا بفقرائهم الذين كانوا يؤلفون جمهور السكان[16].

وكان أهل البُجة كراماً في أوقات السلم، فكانت مشايخ القبائل تفتخر بكرمها على غيرها، ويتجلى كرمهم في الاحتفاء بالضيف والترحيب به، وفي إكرام الأرامل والأيتام والسائلين والعابرين، وإذا ما اشتد البرد وشحَّ المطر ولم يجد الناس طعاماً، فقد كانوا يتباهون بكثرة الأضياف، فيسعون إلى اجتذابهم في الليالي الباردة بإيقاد النار حتى يراها المسافر وكذلك كانوا يجذبون الضيوف بنباح الكلاب[17]، وهذا يدل على حسن طبائعهم وجميل أخلاقهم وشعورهم بالمحتاج وتقديم يد العون له .

كما اتصفوا بالشجاعة والبأس وعدم المبالاة بالموت، إما دفاعاً عن القبيلة التي ينتمون إليها، أو ذوداً عن النساء وصوناً لهن من المهانة والأسر والسبي، وأهل البادية أكثر شجاعة من أهل الحضر الذين ألفوا جنوبهم على مهاد الراحة والدعة وانغمسوا في النعيم والترف ، ووكلوا أمرهم في المدافعة عن أموالهم وأنفسهم وعن واليهم الذي يسوسهم ، أما أهل البدو لتفردهم وتوحشهم في الضواحي وبعدهم عن الحامية، فكانوا قائمين بالدفاع

---

[13] – البلاذري، أنساب الأشراف، مكتبة المثنى، بغداد – العراق، 1970م، ص76.

[14] – السيد عبد العزيز سالم، التاريخ السياسي والحضاري للدول العربية، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، 1976م، ص39.

[15] – جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، المجمع العلمي العراقي، بغداد – العراق، ط2، 1993م، ج2، ص321.

[16] – محمد صالح ضرار، تاريخ شرق السودان ممالك البُجة قبائلها وتاريخها، ص88.

[17] – محمد صالح ضرار ، المرجع السابق ، ص89.

عن أنفسهم ، ولا يثقون بغيرهم ، فهم دائماً يحملون السلاح ، ويتجافون عن النوم ، ويتفردون في القفر والبيداء ، مُدلِين ببأسهم وقوتهم إذا داهمهم صارخ"[18].

فالقبيلة هي الوحدة السياسية عند البُجة، لأن القبيلة هي جماعة من الناس ينتمون إلى أصل مشترك واحد، تجمعهم وحدة الجماعة، وتربطهم رابطة العصبية للأهل والعشيرة، ورابطة العصبية هي شعور التماسك والتضامن، والاندماج بين من تربطهم رابطة الدم، وهي على هذا النحو مصدر القوة السياسية والدفاعية التي تربط بين أفراد القبيلة، وتعادل في وقتنا الحاضر الشعور القومي عند شعب من الشعوب[19]، وإن كانت رابطة الدم فيها أقوى وأوضح من الرابطة القومية، لأن العصبية تدعو إلى نصرة الفرد لأفراد قبيلته ظالمين أو مظلومين، وتقوم العصبية على النسب، ولذلك هي تختلف باختلاف الالتحام بالأنساب[20].

والعصبية نوعان، عصبية الدم وهي أساس القرابة في البيت الواحد ومصدر الترابط الوثيق بين أفراد القبيلة كما لو كانوا أسرة واحدة، وعصبية الانتماء إلى أب بعيد أو جد مشترك من نسله تكونت القبيلة أو القبائل المنتمية إليه[21]، وعلى هذا النحو لم يكن المجتمع البدوي ذا نزعة قومية، لأن الوعي السياسي كان ضيقاً محدوداً ، لا يتجاوز حدود القبيلة أو حدود القبائل المنتمية إلى الجد فقوميتها قومية ضيقة، وجنسيتها جنسية النسب، من انتمى إليها بنسب كان منها، ومن لم ينتمِ إلى نسبها عُد غريباً عنها فلا تشمله العصبية[22].

وهكذا كان مجتمع البُجة كغيره من المجتمعات البدوية مجتمعاً مفتتاً من الناحية السياسية إلى وحدات سياسية متعددة قائمة بذاتها تمثلها القبائل المختلفة، إذ أن العصبية فيه قضت على فكرة الترابط السياسي حتى في حالة الانتساب إلى إحدى القبائل كانت الحروب عاملاً في فناء أعدادا كبيرة من كل قبيلة[23].

والقبيلة في البادية دولة صغيرة ، تنطبق عليها مقومات الدولة ، باستثناء الأرض الثابتة التي تحدد نفوذها ، فمن المعروف أن أهل الوبر لم تكن لهم أوطان ثابتة ، بسبب

---

[18] – مقدمة ابن خلدون، ص419.

[19] – فيليب حتي – أدورد جرجي – جبرائيل حبور ، تاريخ العرب (مطوّل)، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت – لبنان، 1949م، ص34.

[20] – مقدمة ابن خلدون، ص424.

[21] – مقدمة ابن خلدون، ص426.

[22] – جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج1، ص212.

[23] – جواد علي، المرجع السابق، ج1، ص214.

تنقلهم الدائم وراء مصادر العشب والماء والمرعى ، وكان ضيق الحياة في الصحراء حافزاً لهذه القبائل على التنقل والترحل ، كما كان سبباً في اعتزازهم بالعصبية، التي أملتها الظروف الصعبة المحيطة بهم، وبفضل العصبية أمكن لهذه القبائل أن تدافع عن كيانها والتغلب على غيرها، لتضمن لنفسها مورداً لحياتها، لذلك كانت حياة هذه القبائل صراعاً دائماً، والصراع قد يكون هجوماً وقد يكون دفاعاً، فالهجوم يتم بقصد الحصول على مزيد من الرزق والدفاع يقومون به للحفاظ على وجود القبيلة، والدفاع والهجوم يتطلبان التكتل والدخول في أحلاف مع القبائل الأخرى، لهذا عُدَّ قانون البادية قانون الغاب، وقوامه "الحق في جانب القوة"، فمن كان سيفه أمضى وأقوى كانت له الكلمة والغلبة وكان الحق في جانبه[24].

وكان النظام القبلي هو الدعامة السياسية لقبائل البُجة، فلم تنصهر القبائل في نظام سياسي واحد، أو في شعب واحد، وإنما ظلت تحتفظ بتنظيمها القبلي[25] على الرغم من اختلاط أنسابها وتداخل شعوبها، بحكم اختلاطها بغيرها من النوبيين والسودانيين والعرب والمصريين وغيرهم[26].

ومن الملاحظ أن احتفاظ القبائل ببدواتها ووحشيتها يضمن لها الاحتفاظ بقوتها والتغلب على غيرها، وذلك لأنها تعتمد في حياة البادية على العصبية والتي تعد مصدر قوتها، أما إذا اختلطت هذه القبائل بمناطق متحضرة، فإن خشونتها لا تلبث أن تتلاشى وتزول[27].

والسبب في ذلك يرجع إلى عوامل منها: الزواج من أعجميات، أو بالنقلة من قبيلة إلى أخرى، أو بالاستلحاق أي بانتساب عبد من العبيد لقبيلة عن طريق زواجه بامرأة من نسائها، أو عن طريق إلحاق أبناء أم لشخص خلعته قبيلته في قبيلة أخري بقصد أن تحميه فيصبح مولى لها، ويدخل نسبه بمرور الزمن بنسبها ومنها الحلف، وهو تحالف فريقين من قبيلتين مختلفتين وتعايشهما، ونصر الضعيف وأخذ حقه من الأقوى[28].

---

[24] – جواد علي، المرجع السابق، ج1، ص214 – 215.

[25] – محمد صالح ضرار، تاريخ شرق السودان ممالك البُجة قبائلها وتاريخها، ص89.

[26] – محمد صالح ضرار، المرجع السابق، ص96.

[27] – ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص426.

[28] – جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج4، ص219.

وعلى الرغم من اعتزاز أهل القبيلة في البادية بفرديتهم، فإنها فردية منسجمة ومتماسكة مع الجماعة، بحكم رابطة العصبية فالفرد يُلبِّي نداء قبيلته إذا دعته إلى نصرتها في ساعات الخطر، فينصرها وينصر إخوانه ظالمين أم مظلومين، ثم إنه يقبل تحمل بعض مسؤولية أعمال غيره ، فيساهم في دفع الديات للقتلى من القبيلة الأخرى، أو الفداء عن الأسرى في قبيلته، ولهذا فإن روح الديمقراطية والمساواة كانت الأساس الذي يقوم عليه المجتمع القبلي، وكان لكل قبيلة مجلس من شيوخها يرأسه شيخ يختارونه من بينهم[29].

وكانوا يسمونه بالرئيس أو الشيخ أو الأمير أو السيد[30]، وكانوا يشترطون في اختياره أن يكون من أشرف رجال القبيلة، وأشدهم عصبية، وأكثرهم مالاً، وأكبرهم سناً، وأعظمهم نفوذاً، كذلك كان من الضروري أن تتوافر فيه صفات محمودة كالسخاء، والبيان والحكمة والحنكة والشجاعة، فرب هفوة صغيرة تصدر منه تثير حرباً أو تسبب كارثة للقبيلة وللحلف الذي يتزعمه، ذلك لأن أعصاب رجال البادية مرهفة حساسة تثيرها أقل الكلمات، لاسيما إذا كان الأمر يتعلق بالشرف والجاه[31].

ولهذا السبب كانت القبيلة تعتز بكرامتها، وقد يؤدي هجاء شاعر من الشعراء لشيخ من شيوخها أو لفرد منها إلى قيام الحرب بين قبيلة هذا الشيخ أو الفرد، وبين قبيلة الشاعر، ولذلك كان للشاعر شأن كبير في حياة القبيلة ومنزلة[32].

وكان إذا نبغ في إحدى القبائل شاعر أتت القبائل فهنأتها بذلك، كذلك كان للخطباء أثر كبير في الدفاع عن القبيلة ، وفي تعظيمها عند غيرها ، أو في دفعها إلى الحرب[33]، ففصاحة الخطيب، وقدرته على الإقناع تدفع الناس إلى الانقياد إليه ، والامتثال لأوامره ، والناس في البادية كانوا أحوج إلى ما يستنهض هممهم ، ويفتح أعينهم، ويقيم قاعدتهم ويشجع جبنائهم، ويشد جنابهم ، ويثير أشجانهم ، ويستوقد نيرانهم ، صيانةً لعزِّهم أن يُستهان ، وتشفيّاً بأخذ الثأر ، وتحرزاً من عار الغلبة وذل الدمار ، فكانوا أحوج إلى الخُطب بعد الشعر لتخليد مآثرهم وتأييد مفاخرهم[34]، فقد كان من أدبيات أهل البُجة تخليد

---

[29] – عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة – مصر، 1967م، ج1، ص49.

[30] – المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت 346هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، الطبعة الأولى، 2005م ، ج2، ص55.

[31] – السيد عبد العزيز سالم، التاريخ السياسي والحضاري للدول العربية، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، 1976م، ص12.

[32] – جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج4، ص219.

[33] – جواد علي، المرجع السابق، ج4، ص223.

[34] – ابن الأثير، علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري المعروف (ت 630هـ) ، الكامل في التاريخ، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1987م ، ج1، ص375.

مآثرهم وبطولاتهم في أشعار تفتخر بها الأجيال، فقد كانوا يعتقدون أن في ذلك احتفاظاً لهم بهويتهم.

ومما سبق يتضح لنا أن الخطباء والشعراء كان لهم منزلة ومكانة كبيرة عند أهل البجة لِما لهم من دورٍ كبيرٍ ذي أثر على القبيلة داخليًّا حيث يشجعهم ويشحذ هِممهم ، ويُخلِّد ذكرهم ، وخارجيًّا في إعلاء شأنهم بين القبائل.

وكان على شيخ القبيلة أيضاً أن يُعين الضعفاء، ويفتح بيته للنُزلاء والأضياف، ويدفع الديَّات عن فقراء قبيلته، وإذا كان من حق شيخ القبيلة أن يكون حكمه نافذاً على جميع أفراد قبيلته إلى جانب امتيازاته الأخرى في الغنائم والصفايا[35]، والنشيطة[36]، والفضول[37]، والحكم أي إمارة الجند، فقد كان من النادر أن يستبد في حكمه وفي رئاسته للقبيلة، لأنه كان مضطراً إلى مبايعة أهل الرأي في القبيلة[38].

وكان حب القتال مغروساً في نفوس البجية، حتى تحول إلى شغف بالسيطرة والغلبة عن طريق البغي والبطش والمبادرة بالعدوان، ولا يمكن التوصل إلى الحق والسيطرة إلا عن هذا الطريق، وقد ذهب البُجة إلى اعتبار الظلم والبغي الطريق الوحيد الذي يصل المرء بواسطته إلى الحق، فالحق هو القوة أو الحق في جانب القوة، وفي سبيل التوصل إلى الحق استطاب الفرد البجاوي الموت في ساحة القتال، فالميتة الكريمة عنده هي موت الرجل في ميدان القتال[39].

ومن ذلك يتضح لنا مفهوم القتال وسببه عند البجاوي؛ وإن كان مفهومه أنَّ البغي والظلم طريق للوصول إلى الحق مفهومٌ خاطئ، ولكنه أصاب في أنَّ الحقَّ لا بُدَّ له من قوةٍ تحميه، لذلك نجده لا يخشى الموت، بل يسعى إليه إن كان في ساحة القتال، وعَدَّ ذلك من شِيَم الرجال.

ولم يكن عند قبائل البُجة جيوش منظمة ولكن جميع أفراد القبيلة شيوخاً وشباناً كانوا يُلبُّون نداء القبيلة عندما يستحثهم رئيسها للقتال والحرب والغارات والسلب والنهب ،

---

[35] – ما اختاره الرئيس من المغنم واصطفاه لنفسه قبل القسمة من فرس أو سيف أو غيره –ينظر: ابن منظور ، لسان العرب، مادة (صفا)، ج8، ص258.

[36] – ما يغنمه الغزاة في الطريق قبل البلوغ إلى الموضع الذي قصدوه – ينظر: ابن منظور ، لسان العرب، مادة (نشط)،ج14، ص 261.

[37] – فضول الغنائم ما فضل منها حين تقسم – ينظر: ابن منظور ، لسان العرب، مادة (فضل)، ج11، ص194.

[38] – محمود شكري الألوسي البغدادي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ج3، 1992م، ص151.

[39] – محمد صالح ضرار، تاريخ شرق السودان، ص98.

وكانوا يندفعون وراء ذلك بدافع العصبية، وكانت النساء يُشاركن الرجال في الحرب، لبعث الحمية والحماسة في قلوب الرجال وتضميد الجرحى وسقي الماء[40].

وكانت قبائل البُجة تستخدم العيون لرصد العدو، واستطلاع حالته، واستخدموا في حروبهم السيوف والرماح والقسي والسهام والدروع وهو الرداء المتخذ من الزرد، وقوامه حلقات متصلة من الحديد تغطي الظهر والصدر، ومن الدروع الفرعونية والحطيمة أو المغفر[41]، بالإضافة إلى استخدامهم للأسلحة البيضاء ومنها المجن[42].

وكان الأسرى يساقون بعد المعركة مصفدين بالأغلال ، ويستخدم الأسرى عبيداً عند الغالبين، يسخرونهم لخدمتهم إلى أن يفتديهم أهلهم بالمال، والفداء عادة ما يكون بدفع عدد كبير من البعير، ويتفاوت الفداء حسب مقدرة أهل الأسير، وقد يتعرض الأسرى للقتل، وقتل الأسير كان من الأمور المستقبحة عند البدو[43].

وكان البُجة كغيرهم من القبائل البدوية، إذا أسروا شاعراً ربطوا لسانه بلسعة حتى لا يهجوهم، إذ كان الهجاء أشدُّ وقعاً على الأعداء من وقع الرماح[44].

وإذا قتل رجل من قبيلة رجلاً من قبيلة أخرى؛ كان لزاماً على قبيلة القتيل أن تطلب الثأر من القاتل، فتطالب بتسليمه لتقتص منه، ولكن تسليم القاتل يعد عاراً على قبيلته، كما أن قبول الدية من قبيلة القاتل يعد عاراً لقبيلة القتيل التي تسعى إلى الظفر بالقاتل، فإذا امتنعت قبيلة القاتل أن تسلمه إلى قبيلة القتيل، وعمدت إلى حمايته والذود عنه؛ فإنها تدخل في حرب بينها وبين قبيلة القتيل[45].

ويعد أهل القتيل في العادة قوة حتى يدركوا ثأرهم بقتل القاتل، وكانوا يأخذون أنفسهم بطقوس بدوية منها جزّ الشعور، وشقّ الجيوب، وخمش الوجوه ، وخروج الأبكار وذوات الخدر[46]، كذلك كانوا يقصرون ثيابهم ويمتنعون عن أكل اللحم وشرب الخمر،

---

40 – محمد صالح ضرار، تاريخ شرق السودان، ص110.

41 – المغفر: الخوذة توضع على الرأس لوقايتها من ضربات السيوف – ينظر: الألوسي،محمود شكري الألوسي البغدادي (1342هـ) ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق محمد بهجة الأثري، دار الكتاب المصري، القاهرة – مصر، ج3، ص64.

42 – المجن: وهي الترس أو الدروع، وكانت تصنع من الجلود بلا خشب – ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص256.

43 ابن كثير، أبو الفدا عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير (ت77هـ)، البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مكتبة المعارف، بيروت – لبنان، 1990م، ج2، ص54.

44 – محمد صالح ضرار، تاريخ شرق السودان، ص110.

45 – الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج2، ص24.

46 – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص316.

والاختلاط بالنساء والتطيب حتى يدركوا ثأرهم[47]، وعلى الرغم من أن أهل البُجة يشتهرون بالتسامح إلا أنهم لا يتسامحون في حقوق قتلاهم .

ونستنتج من هذه العادات الدلالة على أهمية الأخذ بالثأر عند أهل البُجة، لاعتقادهم أن ذلك يحفظ لهم حقوقهم وهيبتهم، حتى لو أدخلهم ذلك في معارك طاحنة للأخذ بثأرهم في حال عدم قبولهم الدية أو تسليم قبيلة القاتل لهم.

وكانت الحروب والمعارك والوقائع تنشب بينهم لأسباب سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو نفسية، فبعض القبائل كانت ترى الغزو أمراً طبيعياً لتسود وتسيطر وتستأثر بالرئاسة والسيادة، وقد يكون الهدف منها اقتصادياً، فإن ضيق أسباب الحياة أوجد حركة مستمرة نحو الماء والمرعى، والتسابق على موارد المياه ومنابت العشب وكانت تلك من أهم أسباب قيام الحرب بينهم[48].

وكانت الأراضي المقفرة، وما تحتويه أرضهم من الذهب دافعاً أقوي للخصومة والحرب، وهكذا كانت حياة القبائل البجية قتال في قتال، دماء تسفك، ودماء تراق، ولم يكن يطفئ الدم إلا سفك دم جديد، ويتعدد القتل والثأر، وتتوارث القبائل المتخاصمة الثأر، حتى إذا تفاقم الأمر وأتت الحروب على الحرث والنسل، تداعوا إلى الصلح، وتحمُّل الديات والغرامات[49].

ومنذ فجر تاريخ السودان كانت هناك أمتان اشتركتا في حوادثه ، إحداهما :هي تلك التي تسكن في حوض النيل ببلاد النوبة والتي سميت مملكة كوش[50] أو النوبة ، وغير ذلك من الأسماء التي اشتهرت بها، أما الأمة الثانية : فهي أمة البُجة التي كانت تجوب الصحراء الشرقية نحو البحر الأحمر ، وانقسمت البُجة إلى عدة ممالك متفرعة عن مملكتها الرئيسية وكانت دائماً تقف صفاً واحداً وسداً منيعاً ضد المغيرين من المستعمرين ، والمعتدين ، وبالإضافة إلى ذلك فإن مملكة البُجة درجت على انتهاك حرمات الحدود

---

47 – ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي الجوزي أبو الفرج (597هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا – مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1992م ، ج1، ص128.

48 – عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، ج1، ص51.

49 – مصطفي محمد مسعد، ، البُجة والعرب في العصور الوسطى، ص59.

50 – مملكة كوش أطلق اسم كوش من قديم الزمان على منطقة جنوب الشلال في بلاد النوبة العليا والسفلى حيث قامت حضارة وادي النيل النوبية الكوشية وكانت لها ثلاث عواصم كل واحده منها امتداد للأخرى، و هي كرمة و نبتة و مروي، إن أقدم ذكر لاسم كوش يرجع إلى عهد الدولة المصرية الوسطى "2050 – 1786 ق.م"، وأطلق اسم كوش من قديم الزمان على المنطقة من جنوب الشلال الأول والواوات على شماله في بلاد النوبة العليا والسفلى، حيث قامت حضارة وادي النيل النوبية الكوشية – ينظر: محمد إبراهيم بكر، المدخل إلى تاريخ السودان القديم، دار المعارف، ط1، القاهرة– مصر، 1998، ص34 وما بعدها.

المصرية والتوغل في صعيد مصر والتعرض للأرواح والأموال لا ترهبها القوة ولا تصدها المواثيق[51]، على أن الزمن فعل فعلته في وحدة المملكة البجاوية حتى أنه لما زارها ابن حوقل لم يجدها في مملكة واحدة ، بل وجدها قد انقسمت إلى خمس ممالك لكل منها حدودها وسلطانها، وهذه الممالك هي[52]: مملكة ناقص[53]، مملكة بلقين[54]، مملكة بازين[55]، مملكة جارين[56]، مملكة قطاع[57].

وقد ورثت القبائل البجية الكبرى هذه الممالك، كما ورثت ألقابها فقد كان زعماؤها يحملون لقب ملك، ولهم مظاهر خاصة فقد كان لكل ملك منهم كرسي للحكم عرف في السودان باسم "ككر"، وهو العرش الذي يجلس عليه الملك، أما رأسه فقد كان يغطيه بتاج أو طاقية من الذهب تسمى "أم قرين " ومعه سيف من الذهب، وكانت الطبول تقرع له في المناسبات وعند الأزمات[58].

وبشأن قبائل البُجة يمكن تمييز أربع قبائل كبيرة وأساسية، تمثل غالبية شعب البُجة، هي: البشاريون[59] والأمرار[60] والهدندوة[61]، وبنو عامر[62]، مع وجود قبائل أخرى

---

51 – ابن حوقل، أبو القاسم بن حوقل النصيبي المعروف بابن حوقل (ت 367)، كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان، 1992م، ص151.

52 – محمد صالح ضرار، تاريخ شرق السودان، ص74.

53 – مملكة ناقص: وهي تبدأ شمالاً من أول الحدود المصرية وفي غربها أسوان.

54 – مملكة بلقين: وهي تقع بين خور بركة، وساحل البحرالأحمر المجاورة إلى مملكة جارين.

55 – مملكة بازين: وهي تقع بين مملكة علوة وبقلين.

56 – مملكة جارين: وهي تقع على السواحل الجنوبية حتى جبل رورا (بقلة) قرب نفقة.

57 – مملكة قطاع: وهي تبدأ من نفقة حتى سمهر (مصوع)

58 – محمد صالح ضرار، تاريخ شرق السودان، ص74.

59 – البشارية: "وهي جماعة عرقية تعيش في منتصف الساحل الغربي للبحر الأحمر، في منطقة حلايب وشلاتين وما حولها، وتتألف من مجموعة من القبائل القديمة، وهم أحد الأقسام الرئيسية في جماعة البجا العرقية، ويسكنون الطرف الشرقي من الصحراء النوبية في شمال السودان وجنوب مصر، وهم في الأغلب مسلمون صوفيون، على الرغم من اعتناق قلة للمسيحية" _ ينظر:
Zainab Sabra, The arts of traditional costumes and their complements with the "Halayeb, Shalateen and Abu Ramad" triangle Red Sea Governorate, INTERNATIONAL JOURNAL OF DESIGN AND FASHION STUDIES, VOLUME 5, ISSUE 2, 2022, PAGE 106.

60 – الأمرار: يسكنون المنطقة التي تتوسطها مسمار جنوب البشاريين، ويعتقدون أنهم أكثر البُجة نقاءً وصفاءً واحتفاظاً بالصفات الحامية الأصلية بسبب وضعهم الجغرافي الانعزالي – ينظر: يوسف أبو قرون، قبائل السودان الكبرى، ص60.

61 – الهدندوة: أقوى البُجة وأكثرهم عدداً، يسكنون الصحراء بين خور بركة وعطبرة وطريق بربر وسواكن، واسمهم مشتق من كلمة "هدا" بمعنى أسود، "أندوة" بمعنى القبيلة – ينظر: عبد الله حسين، السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية، مؤسسة هنداوي، ج1، ص32.

62 – بني عامر: مملكة جارين على سواحل البحر الأحمر من جنوبي سواكن حتى تصل إلى جنوبي مصوع، وتشمل مصوع ودهلك، ويجرى في أرضها خور بركة، وهذه المنطقة تمثل الجزء الجنوبي الشرقي من أراضي مملكة البُجة، وتمتد مساكن هذه المملكة في أنحاء كثيرة

صغيرة الحجم منها: الأرتقية والكميلاب والحلنقة التي تسكن منطقة كسلا، وهي أقل في الأهمية والأثر الاجتماعي من القبائل الأربع المشار إليها[63].

ولقد استوطن البشاريون النصف الشمالي من بلاد البُجة وشغلوا الأرض الممتدة بين الحدود المصرية شمالاً وديار الأمرار جنوباً ، ولهم حافات تحاذي البحر الاحمر، وأخرى جاورت إقليم أسوان[64].

والبشاريون قسمان: بشاريون أم علي، وبشاريون أم ناجي، ولا إشكالية في أصولهم العربية، ويعتقدون أنهم من أبناء بشار أو بشار بن كاهل الذي ينتهي نسبه إلى سيدنا الزبير بن العوام حواري النبي (ﷺ)[65].

ويبدو أن تصديق انتسابهم للعرب، لا يمنع التشكيك في صلتهم بكاهل الذي يندر أن تجد قبيلة بجاوية لا تدَّعي الانتساب له، وربما صدر ذلك عن سعة انتشار بني كاهل بين قبائل البُجة[66]، وهناك رأي آخر يرى أنهم من بني بشار بن كمروان بن إسحاق بن ربيعة الذي استقر في بلاد البُجة في القرن الرابع للهجرة[67]، ومع أن هذا الرأي لا يقل نقصاً في الإثبات عن الرأي الأول، إلا أنه يبدو أكثر انسجاماً عندما نعلم أن ربيعة هي أكثر القبائل العربية تداخلاً ونسباً ومصاهرة مع قبائل البُجة[68].

ومع غلبة البداوة على حياة البشاريين، إلا أننا نادراً ما نجد حضوراً قوياً للنظام القبلي، حيث تسود سلطة البيوتات، ورؤساء الأسر، بينما انحسرت سلطة شيخ القبيلة إلى أهمية رمزية، غير قادرة على اتخاذ القرارات الملزمة[69]، وربما تأتي ذلك عن خاصية السلم

من إرتيريا الحالية ، وتلتف جنوباً لتصل إلى كسلا التي كانت ملتقى عدد من قبائل البُجة – ينظر: محمد صالح ضرار، تاريخ شرق السودان "ممالك البُجة قبائلها وتاريخها"، ص87.

63 – طالب جاسم حسن العنزي، البجة واندماجها في الدولة العربية الإسلامية، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المجلد 15، العدد 14، 2011م، ص20.

64 – البغدادي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي (626هـ)، معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، 1995م، ج1، ص432.

65 – مصطفى عفيف، علاقة بلاد النوبة والبجة بالدول العربية الإسلامية، ص68.

66 – طالب جاسم حسن العنزي، البُجة واندماجها في الدولة العربية الاسلامية، ص20.

67 – مصطفى مسعد، البُجة والعرب في العصور الوسطى، ص52.

68 – محمد عوض محمد، السودان الشمالي سكانه وقبائله، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط1، 1951م، ص97.

69 – مصطفي عفيف محمد علي، علاقة بلاد النوبة والبُجة بالدول العربية الإسلامية ، ص71.

والتسامح وموادعة القبائل المجاورة التي اتسم بها البشاريون[70]، وكانوا يسكنون في منطقة ناقص[71].

وحاز الأمرار على (800) ميلاً مربعاً[72] من أرض البُجة، وهي الأرض المتحدة شرقاً حتى المرتفعات المجاورة للبحر الأحمر، ويعتقد أن اسم الأمرار اشتقاق عن اسم الجد الأعلى للقبيلة، عمر أو عمار مدعم بكلمة (أر) البتداوية التي يُقصد بها (أبناء) ومن ثَمَّ يقدر أن اسم قبيلة "أمرار" يشير إلى دلالة (بني عمر) أو (بني عمار) وكانوا قد صحَّفوا اسم عمر إلى " أمر" لانعدام وجود حرف العين في لغة "تُبداويت"[73]، لذلك عند تعريب أسماء البُجة سنجد "جعفر" يقولونها "كلاي " فالأول سماه به الوالد تيمناً بسيدنا جعفر ابن أبي طالب الطيار –رضي الله عنه–، ولمعرفة البُجة بهذا الاسم اكتفوا باسم كلاي وهو طيار، ويوسف قالوها "أشوك" أبو هاكول، وحمزة، قالوها "حملاب" وهكذا[74].

وعُرِف الأمرار بانغلاقهم ، وعدم اختلاطهم بأعراق غريبة ، حتى قيل إنهم أكثر البُجة نقاء ولهجتهم أنقى لهجات اللغة البتداوية، وبينهم الكثير ممن لا يحسن اللغة العربية لعزلتهم عن القبائل الأخرى، وللأمرار ميزة أخرى هي البراعة بفنون الحرب والقتال والجرأة والشجاعة في مواجهة الخصوم بحيث أصبحوا مُهابي الجانب من القبائل الأخرى، وهم – بما وصفوا من الأخلاق– شديدو الاعتزاز بكرامتهم، يغضبون لها بشدة لمجرد شعورهم بالإهانة، ولو لم تكن مقصودة، كما عُرفوا بالصبر وتحمل المصاعب[75]، وهم يعيشون في منطقة مملكة بلقين[76].

---

[70] – مصطفى مسعد، البُجة والعرب في العصور الوسطى، ص52.

[71] – طالب العنزي، البُجة واندماجها في الدولة العربية الاسلامية، ص21.

[72] – الميل المربع وحدة لقياس المساحة، والميل المربع يساوي "1609م" تقريباً.

[73] – تُبداويت: هي في الأصل اسم لقبائل شرق السودان الأصليين، وكذلك يطلق على لغتهم، ويتحدث بها الهدندوة والبشاريون والأمرار والحلقنة والأرتيقة والأشراف وبعض بني عامر، والبداويت ترجمة لكلمة "البجاوية"، وحرف "تُ" في اللغة البجا تعد أداة تعريف وتعال "ال" في اللغة العربية، أيضاً يقلبون الجيم دالاً، ولفظ "ويت" تعادل حرف "الياء" في اللغة العربية، وهي من اللغات المصنفة في إطار مجموعات اللغات الحامية – ينظر: كمال حامد عبد الله، أفكار حول كتابة لغة البُجا "البداويت" بالحرف العربي، مجلة الإشعاع، مخبر اللسانيات والترجمة التابع لجامعة الدكتور طاهر مولاي بسعيدة، الجزائر، العدد الخامس، 2015م، ص128 – 129.

[74] – محمد صالح ضرار، تاريخ شرق السودان، ص76.

[75] – يوسف أبو قرون، قبائل السودان الكبرى، الخرطوم ، 1959م، ص60.

[76] – محمد صالح ضرار، تاريخ شرق السودان، ص74.

وتأتي "الهدندوة"[77] مع كونها أحدث ظهوراً من غيرها بين أكثر القبائل البجاوية عدداً، إن لم تكن أكثرها جميعاً، ولها من الأرض الصحراء بين خور بركة وخور عطبرة، وتمتد جنوباً حتى محاذاة شمالي سهل البطانة، وهي أرض قليلة الوعورة كثيرة الأخوار، غزيرة الأمطار، وافرة الأشجار والنباتات[78].

وعندما يُجمع المؤرخون على أصالة الهدندوة البجاوية وعراقتها الحامية فليس هناك من ينكر سعة اختلاطها، واندماجها بدماءٍ أخرى غير حاميَّة، وربما كان ذلك بين أهم ما يشار إليه في تعميق تداخل الهدندوة بالنسب العربي[79].

وتعددت الآراء بشأن اشتقاق اسم الهدندوة[80]، ويمتاز الهدندوة بالقناعة والصبر، وتحمل المشقة والحرمان، والجَلَد، وهم منغلقو المزاج ، سريعو الغضب، قليلو الثقة بالآخرين[81]، وينتشرون في بقاع مملكة بازين[82].

ويأتي بنو عامر بين أقدم سلالات البُجة الذين احتفظوا بالخصائص الحامية، وهم أشبه من غيرهم بقدماء المصريين[83]، أولهم من أرض البُجة آخر جنوب الإقليم بمحاذاة البحر الأحمر وأرتيريا، وعلى جانبهم شمالاً مواطن الأمرار، بينما تمتد مواطنهم شرقاً وغرباً بين حافات البحر الأحمر وأراضي الهدندوة، ويعد السهل الساحلي الأكثر اتساعاً من غيره في عموم إقليم البُجة، وأيضاُ يعد خور بركة من أهم المعالم الموجودة في مواطن بني عامر، ومواطنهم على السواحل الجنوبية[84].

وقد عُرف بنو عامر بأصولهم العربية وانتسابهم إلى عامر بن كاهل، ومع أننا غير قادرين على إثبات ذلك قطعياً، فإننا كذلك غير قادرين على نفيه، وعدم الالتفات إليه

---

77 – الهدندوة: ينتسب الهدندوة إلي الأمير البجاوي "شكاتيل"، الذي ملك البُجة، وكان قد زوَّج ابنته من العربي الحجازي محمد هداب، فأنجبا ولده "محمد مبارك" الذي تزوج بدوره من "هدات" العربية الأصول، وأنجبا سبعة أولاد اكتسبوا من الأبويين تمام العروبة – ينظر: محمد عوض، السودان الشمالي، ص97.

78 – يوسف أبو قرون، قبائل السودان الكبرى، ص66.

79 – طالب العنزي، البُجة واندماجها في الدولة العربية الاسلامية، ص21.

80 – قيل إنه مشتق من (هدايندوة) بمعنى قبيلة الأسود في لغة البُجة وقيل من (هدا–أندوة) بمعني القبيلة السوداء، وقيل من (حدان) القبيلة البجاوية التي تسكن الطريق بين مدينتي قفط وعيذاب،– ينظر: نعوم شقير، تاريخ السودان، تحقيق محمد إبراهيم أبو سليم، دار الجيل، بيروت – لبنان، 1981م.، إلا أن أرجح ما قيل في ذلك إنه اشتقاق من (هداتندوة) لارتباطه بأمهم العربية "هدات جغرافية وتاريخ السودان، ص59.

81 – مصطفي عفيف محمد علي، علاقة بلاد النوبة والبجة بالدول العربية الإسلامية حتى عام 656هـ – 1258م، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة بغداد، 1999م، ص76.

82 – محمد صالح ضرار، تاريخ شرق السودان، ص74.

83 – مصطفي عفيف محمد علي، علاقة بلاد النوبة والبُجة بالدول العربية الإسلامية ، ص90.

84 – جون لويس بوركهارت، رحلات بوركهارت في بلاد النوبة والسودان، ترجمة فؤاد أندراوس، السودان، 1849م، ص309.

خاصةً أنَّ أوطان بني عامر شهدت أنشطة العرب قبل وبعد الإسلام، كما أن لغتهم مشتقة من لغة تجرة الصادرة عن لغة الجعز القديمة شبيهة اللغة الحميرية، وتسود اللغة البتداوية بين الشماليين منهم، ويميز من بني عامر "النبتات "وهم بيت الرئاسة، وهم وعموم بيوتات مشايخ بني عامر يشكلون نمطاً اجتماعياً مترفعاً عن العامة ممتنعاً عن الاختلاط بهم[85].

ومن قبائل بني عامر التي ما تزال موجودة:

1-رقبات السودان، ولها نظارة خاصة [86].

2-عيدك وصوابها عيدق، وتوجد في جبل بهذا الاسم بجوار هجر[87].

3-ستبو وغالبيتها بأرتيريا[88].

4-أيتمة، وغالبيتها بالسودان.

5-حنديبة، وغالبيتها بالسودان.

6-وخيكيا (كيخيا) التي رحلت إلى إرتيريا بعد الوقائع بين بني عامر، والبلويب وهم اليوم أقلية حول مصوع.

7-وأما منسع، فتنقسم إلى ثلاث نظارات كبيرة بأرتيريا، وهي بيت شحقن، وبيت أبرهي، وجمجان[89].

8-أرتيقة، وهي معروفة وكذلك هدندوة، وتنكيك، والأخيرة من بقايا البُجة التي انضمت للهدندوة، واحتفظت بمنازلها في أركويت، ويسكنون تك كليدان، بين أسمرة وكرن[90].

9-كرباب وهم من بطون "أتمن" من قبيلة الأمارار[91]

10-حرمباب، وصوابها "حرم نبا" كانوا يسكنون بجبال بني عامر، ثم استقروا في جبل واحد أُطلق عليه اسمهم، وقد بقيت منهم أقلية اندمجت في قبائل الحماسين العامرية[92].

11-كانبرو.

12-ونجريرو، ولم نجد أي خبر عنهما[93].

---

[85] – محمد عوض محمد، السودان الشمالي "سكانه وقبائله"، مطبعة لجنة التأليف والترمة والنشر، 1951م، ص125.

[86] ابن حوقل : صورة الأرض، ص 151.

[87] محمد صالح ضرار: تاريخ شرق السودان، ص 75.

[88] – ابن حوقل، صورة الأرض، ص152.

[89] – اليعقوبي، تاريخ البلدان، ص224.

[90] – محمد صالح ضرار، تاريخ شرق السودان، ص75.

[91] – ابن حوقل، صورة الأرض، ص152.

[92] – محمد صالح ضرار، تاريخ شرق السودان، ص75.

ولابد من الإشارة إلى وجود قبائل الحلنقة والأرتقية الأشراف، ومع أنهم ليسوا بأهمية قبائل البُجة الكبيرة، إلا أنه ليس لأحد إغفالهم، فالحلنقة من عرب قبيلة هوازن دخلوا أرض البُجة عبر البحر الأحمر، وأقاموا فيها بعد الفتح العربي الإسلامي لمصر[94]، واستوطنوا حول كسلا شرق السودان، يتحدثون اللغة البتداوية ولغة التجرة وهم في عداء مستحكم مع قبيلة الهدندوة[95].

وليس هناك ما يشبع الصورة عن النظام السياسي البجاوي فالتأثير القبلي كما ذكرنا كان واضحاً في كل شيء، إذ لم تحقق البُجة في تاريخها القديم الدولة الموحدة، وأهم ما أنجزوه في مضمارهم السياسي دويلات أو ممالك صغيرة قوامها النظام القبلي، ومفردات تنظيمية أخرى تقوم على التحالفات والمصالح المشتركة[96].

واعتمد البُجة كما هو سائد في أنظمة الحكم في العرق الحامي ، نظاماً ملكياً وراثياً ، يستند إلى الأمومة دون الأبوة ، يرث فيه ابن البنت وابن الاخت بأرجحية سابقة على أبناء الصلب[97]، لاعتقادهم بسلامة نسب ابن البنت وابن الاخت ، وقد أفاد من هذا المصاهرون لهم من القبائل العربية بانتقال الملك إلى أبنائهم من البجاويات ، ويطلق على الملك البجاوي اسم " حدربي" وهو تصحيف حضرمي لانعدام وجود حرف الضاد والميم في لغة البُجة[98]، والناس في مجتمع البُجة فئتين : الحدارية وهم الأسياد والفئة الحاكمة ، والزنافج وهم العبيد وعامة الناس[99].

وقد تناول المؤرخون ممالك البُجة بشيء من الاختلاف وعدم الوضوح أحياناً ، ومنهم اليعقوبي[100] الذي قال إن منازل البُجة بين النيل والبحر الأحمر، ولهم فيها عدة ممالك، منفصلة عن بعضها، قائمة بذاتها وهي:

---

[93] – اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب إسحاق الشهير باليعقوبي (ت 284هـ)، البلدان، وضع حواشيه محمد أمين الضنّاوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ص224.

[94] – ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (ت257هـ)، فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة – مصر، 1997م، ص65.

[95] – مصطفى مسعد، البُجة والعرب في العصور الوسطى، ص56.

[96] – طالب جاسم حسن العنزي، البُجة واندماجها في الدولة العربية الاسلامية، ص23.

[97] – مصطفي عفيف محمد علي، علاقة بلاد النوبة والبُجة بالدول العربية الإسلامية، ص78.

[98] – طالب العنزي، البُجة واندماجها في الدولة العربية الإسلامية ، ص23.

[99] – مصطفي عفيف محمد علي، علاقة بلاد النوبة والبُجة بالدول العربية الإسلامية، ص78.

[100] – اليعقوبي، تاريخ البلدان، ص254.

1-مملكة نقيس: وهي آخر أعمال المسلمين في بلاد البُجة، يحدها من الشمال أسوان ومن الجنوب بركات –خور بركة– عاصمتها هجر، واسمها مأخوذ عن كتلتها البشرية، المنقسمة على شاكلة العرب إلى قبائل وبطون منها: الحدراب، حجاب، العماعر، كوبر، مناسة، رسفة، والزنافج، وهم مسالمون للمسلمين، وعلاقتهم حسنة مع المسلمين العاملين في حقول المعادن الثمينة الذهب والجواهر بأرض البُجة.

2-مملكة بلقين: واسعة كثيرة المدن بالقياس النسبي لممالك البُجة الأخرى، لهم عقيدة تقارب العقائد الوثنية المجوسية، فالخير عندهم هو الله جلَّ وعلا، والشيطان هو الشر، ومن طباعهم وسلوكهم الديني والاجتماعي الاختتان ونتف اللحية وقلع الثنايا ، ويقوم اقتصادهم على بعض استخراجات المعدن الثمين، وعلى الزراعة والرعي لغزارة أمطار بلادهم.

3-مملكة بازين: التي شغلت الأرض الممتدة بين مملكة علوة من أرض النوبة، ومملكة بلقين من أرض البُجة، ولكونها متاخمة للمملكتين، وما ترتب على ذلك من تداخل المصالح، وتقاطعها كانت بازين على خلاف، وعدم توافق وصراع شبه مستديم مع مملكتي علوة وبلقين، وكانوا يكثرون من زراعة الذرة، والتي تشكل مع اللبن طعامهم الأساسي[101].

4-مملكة جارين (بني عامر): تقع بين مدينة باضع وبركات –خور بركة– ولهم من الطباع ما شابه أهل بلقين من نتف اللحية وقلع الثنايا، واعتقادهم في ذلك أن وجود الثنايا يجعلهم على شاكلة الحمير[102].

5-مملكة قطعة: وهي آخر ممالك البُجة، سادت على الأرض الواسعة بين مدينة باضع وموضع يقال له "فيكون" أهلها مقاتلين أشداء، ولهم دار مقاتلة يقال لها "دار السوا " يجتمع فيها شباب جَلِذُون أقوياء مستعدون للحرب والقتال، ويركبون الإبل ويحاربون عليها كما يحارب الفرسان على الخيل ويرمون بالحراب فلا يخطئون، وكان الزنافجة الذي يقيم ملكهم في بلقين ليس لهم شريعة، إنما كانوا يعبدون الأصنام[103].

---

[101] اليعقوبي : تاريخ البلدان ، ص 121 .

[102] اليعقوبي : المصدر السابق ، ص 332.

[103] – المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص114.

المبحث الثاني: الحياة الاقتصادية في بلاد البُجة

الاقتصاد هو أساس التقدم في أي بلد، وهو الركيزة الأساسية التي تعتمد عليها أي دولة في بناء نفسها وفي إقامة حضارتها ونهضتها وثقافتها، حتى إن الدولة إذا أرادت أن تُقَوِّي جيشها لابد أن تمتلك اقتصاداً قوياً يمكنها من ذلك، والسؤال هل ينطبق هذا الكلام على بلاد البُجة ؟ وهل كانت تمتلك اقتصاداً قوياً؟ أم كان للأرض والبيئة دخل في عدم تعزيز وقوة اقتصادها في بعض المناطق؟ وللإجابة على هذه التساؤلات ولمعرفة مواطن القوة والضعف في بلاد البُجة فإننا سنتناول في النقاط التالية أهم مصادر الاقتصاد التي اعتمد عليها شعب البُجة في مجالات الزراعة والتجارة والصناعة، لنقف على حقيقة امتلاكهم لمصادر القوة التي ساعدتهم على البقاء والاحتفاظ بهويتهم.

أ) الزراعة:

تعتمد الزراعة في كل بلاد العالم على عدة مقومات هي التربة الخصبة، والمياه والأيدي العاملة، فالتربة مورد فعال يزود النباتات بالحياة ومكوناتها، وهي خليط من جسميات معدنية (رمل، غرين، طين)[104] ومواد عضوية، وأنواع متعددة من الكائنات الحية، ومن ثَمَّ فإن للتربة خصائص بيولوجية، وكيميائية وفيزيائية، يمكن تغييرها حسب طريقة التعامل معها[105].

1-التربة :

فالتربة هي الطبقة السطحية من القشرة الأرضية التي تمتزج معها الكائنات الحية، ونواتج المواد المحللة التي توجد على عمق 50 إلى 100سم ، وتتكون من طبقات تسمى مسكات، وهي ثلاثة أنواع يمكن إجمالها فيما يلي:

المسكة الأولى : هي مسكة التراكم حيث تتراكم بقايا الكائنات الحية الميتة والذبال[106].

المسكة الثانية : هي مسكة الاستقبال، حيث تستقبل المواد المتسربة إليها من المسكة السابقة ويزداد حجم هذه المواد كلما تعرضت التربة لعملية غسيل شديدة .

المسكة الثالثة : وهي الصخرة الأم التي يتعرض سطحها للتفكك[107].

---

[104] – تربة خصبة ويسهل التعامل معها، وتوفر تصريفًا جيدًا للمياه وذلك اعتمادًا على تركيبتها السائدة، ويُمكن أن تكون إمّا رملية، أوطينية، أوغرينية.

[105] – صلاح الدين الشامي، استخدام الأراضي "دراسة جغرافية"، منشأة المعارف، الإسكندرية – مصر،2000م، ص101.

[106] – ابن وحشية أبو بكر أحمد بن علي بن قيس الكسداني، الفلاحة النبطية، تحقيق توفيق فهد، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق – سوريا، ط1، 1993م، ص122.

[107] – ابن وحشية، الفلاحة النبطية، ص120.

فالتربة الزراعية هي الوسط الذي تثبت فيه النباتات جذورها، وتحصل منه على حاجتها من الماء والأملاح، وتتكون من الطبقة السطحية، وطبقة تحت التربة، وجميع العمليات الزراعية تتم في الطبقة السطحية[108].

وتشير كتب الفلاحة إلى الأرض بوصفها من أهم عناصر الفلاحة، ويشار إلى التراب على أنه وجه الأرض، وهو الجزء الصالح للفلاحة، فالتربة فيها حياة النباتات لوجود الغذاء فيها، وبالغذاء والماء قوام النبات، فالأرض كالأصل والموصول، بل هي الموضوع في الحقيقة لتربية النبات، وكل صغيرة وكبيرة لأنه قائم على الأرض[109] ، والأسس التي يجري تصنيف التربة بموجبها، فمتعددة منها تصنيف التربة حسب لونها وهو أكثر التصنيفات شيوعاً في كتب الفلاحة لسهولته، فاللون الظاهر للعين فتعرف التربة به فالسواد مؤشر علي جودة التربة، والبياض عكس ذلك[110].

وتصنف التربة على أساس الحرارة والرطوبة الموجودة فيها، فيشار للتربة التي تحتفظ بكميات من الماء تحتفظ برطوبتها بالتربة الندية، يقابلها التربة الجافة أو اليابسة التي تقل درجة الرطوبة أو تنعدم[111].

وطبيعة الأرض والتربة كما وصفها الجغرافيون في بلاد البُجة بأنها بادية جدباء لا خصب فيها ولا قري[112]، وهي مواضع ذات أودية متصلة بجبل ملاحيب (حلايب) وأكبر أوديته وادي بركة ، وبين قلعيب وبركة عياض ذوات أشجار ضخمة[113]، وعليه لا يُنتظر منهم أن يكونوا أصحاب زراعات واسعة كبيرة الأثر في اقتصادهم ، وتوجد الزراعة هنا وهناك بحكم الضرورة ، ومحاولة تخفيف الحاجة المحلية ، وتطمينها نسبياً، وعلى قلة الحاصل وضعف معطيات الزراعة إلا أنهم لا يختلفون في موسم الحصاد ولهم في ذلك تهاليل ودعاء[114]، وحدود زراعتهم لا تعدو المنطقة الوسطى وسهل البطانة[115].

---

[108] – منتصر عبد الحليم، الزراعة والاقتصاد القومي، ص362.

[109] – ابن وحشية، الفلاحة النبطية، ص120.

[110] – العزي، رضي الدين أبي الفضل محمد بن محمد بن أحمد الغزي العامري (ت 935هـ)، جامع فرائد الملاحة في جوامع فوائد الفلاحة، دار الكتب الظاهرية الطب والصيدلة، دمشق، 1980م.، ص307.

[111] – إيمان محمد زكي، الحياة الاقتصادية في خراسان في العصر السلجوقي، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2014م، ص35.

[112] – مصطفي عفيف محمد علي، علاقة بلاد النوبة والبُجة بالدول العربية الإسلامية، ص77.

[113] – اليعقوبي، كتاب البلدان، ص167 – ابن حوقل، صورة الأرض، ص165.

[114] – اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج1، ص166.

[115] – ضرار صالح ضرار، البحر الأحمر وإقليم البُجة، بيروت – لبنان، 1965م، ص59.

2- المياه :

تشير كتب الفلاحة إلى أهمية الماء، إذ به حياة النباتات، يقول ابن وحشية " لما كانت هذه الشجرة "الزيتون" قد تتلف بانقطاع الماء عنها، وتجف، وإن أمس الحاجة إلى أنباط المياه والاستدلال عليها والحيلة في إخراجها لتحيا بها هذه المنابت، وسائر النبات، ويرى أن سبب الجفاف هو الرياح لأنها تُفني الرطوبة من النباتات وتجففه"[116].

ويعد الماء هو العامل الحاكم في المناطق الجافة، وكان له أكبر الأثر في التراث الحضاري لأي دولة من الدول، وكانت الموارد المائية تُستغل إلى آخر نقطة ، وتفنَّن أهل البُجة في كيفية المحافظة على ما لديهم من مياه، وتُصنف كتب الفلاحة المياه حسب مصادرها كالتالي:

مياه الأنهار: حيث تعد الأنهار وروافدها من أهم مصادر المياه التي يعتمد عليها المزارعون، والتي تقوم عليها الحضارات، ولكن الأنهار في بلاد البُجة كانت قليلة للغاية ، فكان هناك نهر عطبرة والقاش، ودلتا طوكر، والتي اعتمدت على فيضان الأنهار المجاورة[117].

أما الأمطار فهي أفضل المياه ، وتستخدم في ري سائر الزراعات مثل الذرة، والخضروات، والثمار، والقمح والشعير لعذوبته واعتداله، فتقبله الأرض، ويغوص في جميع أجزائها، ولا يبقى منه على وجهها أثر[118].

وفي بلاد البُجة كانت كمية الأمطار تختلف من منطقة إلى أخرى، فغالبيتها كانت جافة جرداء قليلة المطر[119]، وكانت الأمطار تنزل بغزارة في مناطق أخرى مثل نهر عطبرة والقاش وناقص، وبقلين وبازين وعلى السواحل الجنوبية التي كانت تعيش فيها قبائل بنو عامر، وكان هناك قسم يمطر ويزرع من بلادهم يبلغ طوله نحو مسيرة شهرين وعرضه من البحر إلى النيل[120].

أما مياه الآبار والعيون فهي مياه أرضية تتخلَّل الصخور تحت الأرض، تميزاً لها عن المياه السطحية التي توجد فوق سطح الأرض مثل الأنهار[121]، وهي مياه موافقة لجميع

---

[116] – ابن وحشية، الفلاحة النبطية ، ص371.

[117] – ضرار صالح ضرار، البحر الأحمر وإقليم البُجة، ص59.

[118] – ابن وحشية، الفلاحة، ص371.

[119] – مصطفى مسعد، البُجة والعرب في العصور الوسطى ، ص55.

[120] – ابن حوقل، صورة الأرض، ص59.

[121] – منتصر عبد الحليم، الزراعة والاقتصاد القومي، ص145.

الخضر والشجر، وفي طبيعته ثقل لمخالطته بالتربة، وتتفاوت المزروعات بطبيعتها حسب حاجتها إلى الماء، كما أن هذه الحاجة تزيد أو تنقص حسب طبيعة التربة التي يزرع فيها المحصول، ودرجة الحرارة السائدة في الإقليم[122].

فمياه الآبار والعيون من المصادر الأساسية للمياه التي اعتمد عليها البُجيون في صحرواتهم البعيدة عن مجاري الأنهار، إذ انتشرت الآبار والعيون في بلادهم بصورة كبيرة، فكانوا يحفرون الآبار ، التي كانت توفر لهم ولحيواناتهم الكلأ والعشب والماء والشجر ، وكان البجاوي يدافع عنها كما يدافع غيره عن أسمى ممتلكاته ، وكان لا يسمح لغيره بحفر بئر في تلك الأرض مهما دَرَّتْ البئر من ماء له ولغيره ، لأنه يعلم أن ذلك يعني نزوح عددٍ من الناس للسكنى في تلك الرقعة من الأرض، فمن حفر بئراً في أرض بجاوي كمن حفر قبراً له ، لذلك تجده يمانع ويجاهد دون ذلك مهما كلفه الجهد ، فهو لا يحب أن يجاوره أحد في أرضه[123].

وتعد العيون من مصادر الري المهمة التي اعتمد عليها البجيون، وكانت السلطة المحلية والأهالي في بلاد البُجة يقومون بحفر الآبار في المناطق المتطرفة الصحراوية قليلة المياه، وكانت العيون قد انتشرت في بلاد البُجة، واعتمدوا عليها كثيراً في سقي إبلهم وحيواناتهم وبيوتهم، وأصبحت مصدراً مهماً لشرب الأهالي وري مزارعهم، وكانت العيون عذبة حيث ذكر اليعقوبي " أن مياه البُجة من عيون تجري"[124].

وكانت بعض العيون مالحة المياه، فكانوا يقومون بردمها، والبحث عن عيون أخرى عذبة الماء، وكان بعضهم يبيع الماء من تلك العيون وقت الجفاف بأسعار عالية[125].

أما عن وسائل ري الأراضي في بلاد البُجة، فقد استخدم البجيون ما استخدمه غيرهم من وسائل الري المختلفة خاصة الأراضي التي اعتمدت على الوسائل الرافعة للمياه

---

[122] – عبد الله محمد بن إبراهيم بن بصال، كتاب الفلاحة، ترجمة وتعليق خوسي مارية مياس بييكروسا و محمد عزيمان، مطبعة كريماديس، تطوان – المغرب، 1955.ص107.

[123] – محمد صالح ضرار، تاريخ شرق السودان ، ص26.

[124] – اليعقوبي، تاريخ البلدان، ص167.

[125] – مصطفى مسعد، البُجة والعرب في العصور الوسطى ، ص56.

ومنها: الدالية[126]، الزرنوق:[127] المنجون أو الدولاب[128]، الناعورة[129]، وكل هذه الوسائل استخدمها سكان نهر عطبرة والقاش[130].

أما أهم الزراعات في بلاد البُجة فكانت الذرة والقمح والشعير[131]، وبعض الخضروات وبعض النباتات الطبية ، وهي تلك النباتات التي تنمو طبيعياً بحكم المناخ، أو يقوم الإنسان بزراعتها وغرسها، وبعض هذه النباتات كانت تستعمل كعقاقير لأمراض معينة، وبعضها يدخل في بعض الصناعات، ومنها الزعتر، والرياس والبقل[132]، وكانت بلاد البُجة تشتهر بزراعة النخيل، فكثرت تمورهم وصدروها للخارج[133].

3- الثروة الحيوانية :

يعد الرعي وتربية الحيوانات الحرفة الأكثر أهمية في حياة البُجة، فلهم عناية وافرة بالإبل والبقر والضأن والماعز والخيول، كما كانت لهم استثمارات أخرى في الحيوانات غير الداجنة ومن بينها السباع أو النمور والفهود، والزرافات، والكركدن والحمار الوحشي[134].

وكانت حرفة الرعي أحد أهم مظاهر النشاط الاقتصادي في بلاد البُجة، حيث اشتغل بها أغلب السكان، حيث توافرت الأراضي الغنية بالعشب والحشائش لترعي فيها الماشية والدواب، وتتمثل في الأرض البور والصحاري حيث كان ينبت فيها العشب بعد سقوط الأمطار[135] .

---

126 – الدالية: وهي عبارة عن آلة ترفع الماء وتديرها البقر – ينظر: آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو شعيرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة – مصر، 1974م، ج2، ص248.

127 – الزرنوق: وهو اسم آلة بسيطة تركب على البئر – ينظر: آدم متز، المرجع السابق، ج2، ص249.

128 – المنجون أو الدولاب: وكانت ترفع الماء من عمق صغير، وتستخدم في إدارته الإبل والبقر – ينظر: إيمان زكي، الحياة الاقتصادية في خراسان في العصر السلجوقي، ص69.

129 – الناعورة: فهي دولاب يديره الماء، وهي تركب على الأنهار، إذ يدور دولاب الناعورة بسرعة الماء الجاري، حيث تزداد سرعة الماء عند مروره تحت الدولاب الذي أعد له حاجز من الحجارة على عرض النهر، أو مد بسيط من الحجارة أو الخشب أمام الدولاب، فيأخذ هذا الماء عند ارتطامه به دورانه، فيرفعه إلى أعلاه ويصبه في المجرى المعد لري الأرض – ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج5 ، ص253.

130 – محمد صالح ضرار ، تاريخ شرق السودان "ممالك البُجة، قبائلها وتاريخها" ، ص77.

131 – ابن حوقل، صورة الأرض، ص155.

132 – البقل: وهو نبات يشبه السلق ولكن طعمه حامضي – ينظر: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري المعروف بالكرخي (ت346هـ)، كتاب المسالك والممالك أو مسالك الممالك، دار صادر، بيروت – لبنان، 2004م.ص92.

133 – اليعقوبي، تاريخ البلدان، ص169.

134 – الإدريسي، نزهة المشتاق، ج2، ص46 – ابن الوردي، سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر (ت 852هـ)، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، 2008م، ص49.

135 – الإصطخري، مسالك الممالك، ص35.

ويستفاد من وجود الحشائش التي تنبت بعد سقوط الأمطار في رعي الأغنام والماشية في الأرض التي ليست ملكاً لأحد، وكان الأهالي يقومون باستغلالها والإفادة منها، وهي مساحات كبيرة ينمو فيها النبات الطبيعي والحشائش، وبعض النباتات الغنية وتأكلها الحيوانات وقد وصفها المقدسي، بقوله " إنها طيبة في الشتاء وكثيرة الأمطار والثلوج وحشيشها عجب تغيب فيه الدواب"[136].

ويدل على مدى الاهتمام بالثروة الحيوانية في بلاد البُجة، والعمل على تنميتها، والاستفادة منها في أشياء كثيرة مثل اللحم والجلود والألبان والصوف، والتنقل والترحال من مكان لآخر، وقد ذكر ابن حوقل أنه كان "يرتفع منها الجلود المدبوغة، وهي مشهورة في صناعة الخيام والنعال والخفاف من الجلود"[137].

وقد أدت المراعي الكثيرة في بلاد البُجة إلى توافر ثورة حيوانية كبيرة، شاركت في اقتصادها البدوي، وكانت لها أهمية كبيرة في اقتصادها الزراعي لأنها المصدر الرئيسي لإنتاج اللحوم والأصواف والأوبار والفراء والجلود التي كانت تستخدم في صناعة المصنوعات الجلدية المختلفة، ومستخرجات الألبان التي يعتمد عليها كأحد الأغذية الرئيسية للسكان، كما أن مخلفات الحيوانات كانت تستعمل كسماد طبيعي للزراعة[138].

وتعد الإبل والأغنام والماعز من أهم مصادر الثروة الحيوانية في بلاد البُجة ، فكانوا يستخدمون الإبل في حروبهم وحمل أثقالهم ، وقد استفاد أهالي البُجة من المنتجات الحيوانية في صناعتهم ، فضلاً عن صناعة الألبان ، فقد استخرجوا جلود الحيوانات ، واستخدموا شعرها في صناعة الخيام والنعال والخفاف ، كما صنعوا من الأصواف ملابسهم التي كانوا يغزلونها وينسجونها يدوياً ، كما صنعوا منها البسط والغطاء، واستخدموا جلود الأغنام مقاعد لجلوسهم، بالإضافة إلى مخلفات الحيوانات التي كانت تستخدم في تسميد الأرض الزراعية وغيرها ، وكانت لحومهم لكثرتها رخيصة[139].

---

136 – أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة – مصر، ط3، 1991م، ص116.

137 – ابن حوقل، صورة الأرض، ص55.

138 – مصطفى مسعد، البُجة والعرب في العصور الوسطى ، ص68.

139 – أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة – مصر، ط3، 1991م، ص118.

على الرغم من الظروف البيئية والمناخية الصعبة التي كان يعيش فيها أهل البُجة إلا أنهم نجحوا في الاستفادة من مواردهم الطبيعية، واستطاعوا أن يستخدموها في عدة منتجات توفر لهم المأكل والملبس وبعض وسائل المعيشة.

ب) الصناعة :

تعد الصناعة من أهم مقومات الاقتصاد في أي دولة من الدول، فهي مثل العمود الفقري الذي تقوم عليه نهضة الأمم، خاصة إذا توفرت المواد الخام اللازمة للصناعة، وبجانبها الأيدي العاملة، والحرفيون والصناع.

وبلاد البُجة كانت قليلة الصناعات ، ولكنها كانت كثيرة المواد الخام اللازمة للصناعة وخاصة المعادن، وأشهرها معدن الذهب الذي نشط العرب في استخراجه من تربة العلاقي وغيرها من أرض البُجة[140]، والفضة والنحاس والرصاص والحديد والزمرد والزبرجد، وأحجار المغناطيس[141]، ففي بلادهم يكثر الزبرجد الذي يستخرج من الأرض[142]، وفي بلادهم معادن الزمرد والذهب وهو التبر ، ويذكر المسعودي " أن معدن الزمرد يوجد في قفط من عمل الصعيد الأعلى في موضع يعرف بالخربة ، وهو مفاوز وجبال ، والبُجة تقوم بحماية هذا المكان لقاء أجر معلوم لمن أراد استخراج الزمرد "[143].

ويضيف المسعودي " وبوادي البُجة المالكة لهذا المعدن تتصل ديارهم بالعلاقي وهي معدن الذهب، وبين العلاقي والنيل خمسة عشر مرحلة، وماء أهلها ما أهل من السماء "[144] وقال الجاحظ[145]: "إن منجم الزمرد لا يوجد إلا في أرض البُجة".

والزمرد الذي يقتلع من هذه البلاد أربعة أنواع:

الأول: يُعرف بالمر؛ وهو أجودها وأغلاها ثمناً وهو شديد الخضرة كثير الماء، تشبه خضرته بأشد ما يكون من السلق خضرة، وهذا اللون غير كدر ولا ضارب إلى السواد146.

---

140 – ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان ، ص99.

141 – القزويني، أبو عبد الله زكريا محمد بن محمود القزويني (605: 682هـ)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت – لبنان، ص18.

142 – ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص99.

143 – المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص217.

144 – المسعودي، المصدر السابق ، ج2 ، ص217.

145 – الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري، التبصر بالتجارة في وصف ما يستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأغلاق النفيسة والجواهر الثمينة، تصحيح وتعليق السيد حسن حسني عبد الوهاب التونسي، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر، ط3، 1994م ، ص23.

والثاني: يُدعى بالبحري، ومعناه في هذه التسمية هو أن ملوك البحر من السند والهند وبورما والصين ترغب في هذا النوع من الزمرد، وتباهي في استعماله ولباسه في تيجانها وأكاليلها وخواتيمها، وأسورتها، فسمي بالبحري، وهو أيضاً شديد الخضرة.

والثالث: يُعرف بالمغربي، ومعناه في هذه التسمية بإضافة المغرب؛ هو أن ملوك المغرب من الفرنجة والأندلس والصقالبة والروس كانوا يتنافسون في هذا النوع من الزمرد.

والرابع: هو المسمى بالأمم ، وهو أدنى الأنواع وأقلها ثمناً، لقلة مائه وخضرته، وهذا النوع يتفاوت في اللون من الخضرة والقلة 147.

وكانت ملوك اليونان والرومان تحرص على هذا الأنواع وخاصة الأول (المر) ، والزمرد يكثر في السنة التي تكثر فيها الصواعق والرعد والبرق، وبوادي البُجة المالكة للزمرد تتصل ديارها بالعلاقي معدن الذهب[148].

أما معدن الذهب فكان يوجد ببلاد البُجة –خصوصاً الشمالية منها أي أرض البشاريين والأمارار– عدة جبال كلها مناجم ذهب مملوءة بالذهب الكثير فجبال البُجة كلها معادن[149]، والبُجة تنقصهم رؤوس الأموال لاستخراجها رغم توافر الأيدي العاملة[150].

والذهب أكثره بوادي العلاقي، الذي يقول عنه ابن جبير: " إنه واد فيه خلق كثير كالبلد الجامع، فيه آبار عذبة يشربون منها، ومعدن الذهب عندهم متوسط في الصحراء، لا جبل حوله بل رمال لينة وسباسب سيالة فإذا كان أول ليالي الشهر العربي خاض الطلاب في تلك الرمال، فينظرون التبر يضئ بين الرمل، ويعلمون مواضعه، ويصبحون فيجئ كل منهم إلى كوم الرمل الذي عمله فيحمله على هجينه، ويمضي إلى آبار فيغسله ويصوله ويستخرج منه التبر، ثم يسكبه في البوادق (آلات تصفية الذهب)، فمن ذلك معاش سكان الوادي"[151].

---

146 – محمد صالح ضرار، تاريخ شرق السودان "ممالك البُجة، قبائلها وتاريخها" ، ص80.

147 – محمد صالح ضرار ، المرجع السابق ، ص81.

148 – ابن حوقل، صورة الأرض ، ص159.

149 – القزويني، آثار البلاد ، ص38.

150 – محمد صالح ضرار، تاريخ شرق السودان "ممالك البُجة، قبائلها وتاريخها" ، ص81.

151 – ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، رحلة ابن جبير، تحقيق حسين نصار، مكتبة الثقافة، القاهرة – مصر، 1988م، ص 144.

ولأنهم قبائل رحل ولطبيعتهم البدوية، لم تظهر لهم صناعات معتبرة إلا صناعة وحرفة استخراج المعادن التي رحلت إليهم القبائل العربية من أجلها[152]، إلى جانب الصناعات التي كانت تتصل بضروريات الحياة اليومية مثل صناعات المنسوجات من شعر الأغنام مثل نسج الشملات والبسط والمفروشات اليدوية، وبعض الملابس، وبرادع الخيل والإبل، والأكوار للإبل، وبعض الدباغة وصناعة الجلود كسروج الخيل والخفاف والخيام[153].

وقد قامت على صناعة المنسوجات صناعة الصباغة، حيث استخدم الصُناع في البُجة ألواناً مختلفة من الصباغة، مثل اللون الفاتح والأبيض المائل إلى الصفرة والأصفر الفاتح والسمني والأزرق والأحمر والأسود، وكثيراً ما كانوا يخلطون الأصباغ بالعطور لتفوح من الملابس الرائحة العطرية الجميلة، خاصة ملابس ملوكهم ومشايخ قبائلهم[154].

أما الصناعات الحديدية ، فالحديد من الخامات المعدنية التي وجدت في بلاد البُجة ، وهو من المواد الأساسية التي تدخل في الكثير من الصناعات ، وكان يتم استخلاصه وسبكه في الجبال التي يستخرج منها ، ليدخل في كثير من الصناعات المختلفة ومنها الأدوات التي كان يستخدمها المزارعون في الأرض كالمنجل الذي استخدم في عملية قطع المحاصيل ذات السيقان الطويلة[155]، والفؤوس التي تستخدم في حفر التربة ، كما استخدم أيضاً في صناعة المحراث ، وهو قطعة حديدية بها فتحات تربط بالحبال إلى الدواب التي تجرها حيث يقوم الحداد بوضع قطعة خشبية مثبتة عليها قطعة حديدية مستطيلة الشكل[156].

ومن الأدوات التي صنعت أيضاً من الحديد اللجام ؛ وهي الحديدة التي تكون في فم الفرس، وأحياناً اللجام يزين بالخلاخل والسلاسل التي تصنع من الحديد، وكان الحداد يقوم بزخرفة اللجام[157]، وصنع من الحديد أيضاً مرايات الخيل وهي التي يشاهد بها الإنسان خياله أو شخصه فيها، وكانت تصنع من الحديد لأنه لم تكن تعرف المرايات التي في عصرنا هذا، ومنها أواع وأحجام مختلفة[158].

---

[152] – مصطفى مسعد، البُجة والعرب في العصور الوسطى ، ص23.

[153] – القزويني، آثار البلاد، ص39.

[154] – ابن حوقل، صورة الأرض، ص162.

[155] –ابن وحشية، الفلاحة، ص368.

[156] – الإدريسي، نزهة المشتاق، ج2، ص555.

[157] – مصطفي عفيف محمد علي ، علاقة بلاد النوبة والبُجة بالدول العربية الإسلامية ، ص78.

[158] – ضرار صالح، المرجع السابق، ص143.

ومن الأدوات التي صنعت من الحديد أيضاً الساطور وهو من الأدوات التي استخدمها الإنسان في أغراض مختلفة، واختلفت أنواعها وأسعارها، وذلك بسبب دخول معدن الفضة في تطعيم مقابضها وتحليتها بزخارف، وقد بذل الريفيون عناية فائقة في زخرفتها وتزيينها بزخارف متنوعة، إلى جانب تحلية مقابضها بالذهب والفضة، فكانت تتخذ من العاج والأخشاب الثمينة[159] ، كما صنع من الحديد الأقفال، وكانت صناعة الأقفال منتشرة في بلاد البُجة منذ القدم، وبعضها زين بالذهب والفضة أو النحاس، وكانت منها أقفال بطول الكف[160].

وتعد صناعة الأسلحة من أهم الصناعات التي قامت على خام الحديد في بلاد البُجة، فهم محاربون دائماً، فكانوا في حاجة مستمرة لتلك الأسلحة لاستخدامها في الحروب والمعارك، وبما أن قبائل البُجة قد خاضت الكثير من الحروب، فكانت صنعت الكثير من الأسلحة منها السيوف والدروع والسهام والنبال والخوذ والحراب[161].

أما معدن النحاس –والذي توافر بكثرة في بلاد البُجة– فقد قامت عليه صناعات عدة، بعد أن يقوم الحرفيون من النحاسيين بتصفية مادة النحاس من الشوائب العالقة بها، وعرفوا تبيض النحاس، عن طريق طلاء الآنية النحاسية ذات اللون الأحمر بلون أبيض رصاصي مستخدمين في التبيض الرصاص[162].

وصنع الحرفيون في بلاد البُجة من النحاس العديد من الأدوات ، كالشمعدانات والطاسات والأباريق المطعمة بالفضة والذهب، وكانت تصنع للملوك ومشايخ القبائل، وكان الإبريق يتكون من بدن ورقبة ويخرج من الجزء العلوي للبدن مقبض يمتد في شكل مستقيم، ثم يعود ليلتقي بالجزء العلوي لرقبة الإبريق، ويقابله من الجهة الثانية صنبور تأخذ نهايته شكل ثعبان مفتوح الفم، ويعلو رقبة الإبريق غطاء على شكل قبة يعلوه كتلة مخروطية تنتهي بشكل كرة [163].

---

159 – مصطفى مسعد، المكتبة السودانية ، ص208.

160 – محمد صالح ضرار، تاريخ شرق السودان "ممالك البُجة، قبائلها وتاريخها" ، ص89.

161 – طالب العنزي ، البُجة واندماجها في الدولة العربية الإسلامية ، ص139.

162 – محمد صالح ضرار، تاريخ شرق السودان "ممالك البُجة، قبائلها وتاريخها" ، ص89.

163 – سعاد ماهر محمد، الفنون الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة – مصر، 1986م، ص243.

ومن أشهر ما صنع من النحاس في بلاد البُجة، الفوانيس مختلفة الأشكال والأحجام منها الكبير والصغير، ومن ثَمَّ كانت تختلف أسعارها أيضاً، واختلفت أسمائها مثل المصباح، والمشعل والقنديل[164].

ومن أشهر الصناعات الذهبية التي وجدت في بلاد البُجة الحلي بكل أنواعه، والسلاسل والأساور والخواتم والحلقان والخلاخيل، كما أنهم صنعوا أدوات الزينة الخاصة بالنساء وزينوها بالذهب[165].

أما الصناعات الفضية، والتي قامت على توافر معدن الفضة في تلك البلاد والذي كان يستخرج على هيئة معدن أبيض جميل يتميز بلونه الرمادي، ويكون على هيئة أسلاك صغيرة، وقد يكون معدن الفضة مخلوط ببعض المعادن، مثل الرصاص والحديد والنحاس، وكان يتم فصلهم عن طريق تسخين الفضة الخام في بوتقة حتى تصل إلى درجة الذوبان، ثم يضاف لها مادة الرصاص التي تقوم بتخليص خام الفضة وحده، أما مادة النحاس فكان يتم فصلها عن طريق تسخين الفضة إلى درجة الذوبان، ثم يضاف إليها ملح البارود والرصاص ثم تصب الفضة في قوالب معينة دون أي خفض لدرجة الحرارة، حتى تمنع عملية تصلب الفضة التي كانت تجعل الفضة غير قابلة للطرق والسحب[166].

وكان يصنع من الفضة بعض الأواني المنزلية ، وأدوات الزينة كالمكاحل؛ والمكحل عبارة عن وعاء يوضع به الكحل الذي تستعمله النساء في تزيين عيونهن[167]، ومن الفضة أيضاً صنع حكام البُجة دراهمهم[168]، كما استعملت الفضة في الكتابة على السيوف والأواني وغيرها من التحف ، فكانت الفضة تؤخذ وترق صفائح وتقطع قطع صغيرة ، وتوضع في إناء حديد على نار فحم ، حتي تحمى ، ويُلقى عليها زئبق خالص وتسحق ثم تدك، وتغسل بالماء حتي يخرج سفادها ، ثم يُصفى الماء وتجعل في خرقة نظيفة ، ويوضع عليها صمغ ثم تكون بعد ذلك صالحة للكتابة على الأواني وغيرها من التحف والأسلحة الخاصة بالملوك ومشايخ القبائل[169].

---

[164] – مصطفى مسعد، البُجة والعرب في العصور الوسطى، ص66.

[165] – ابن حوقل، صورة الأرض، ص159.

[166] – ديماند، الفنون الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة – مصر، 1986م ، ص144.

[167] – عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، ثمار القلوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ، القاهرة – مصر، 1985م ، ص10.

[168] – ابن حوقل، صورة الأرض، ص166.

[169] – الإدريسي، نزهة المشتاق، ج2، ص557.

كما صنعت من الفضة المستخرجة من بلاد البُجة ، الحجل أو الخلخال ، وهو ما تستعمله المرأة من حلي في ساقها ، ويكون على شكل ثعبان محاط بساق المرأة [170]، وكذلك الأساور وهي نوعين منها نوع دائري مغلق ومقفل بإحكام والآخر مفتوح يتخذ شكل هلال، وكذلك صنع من الفضة المشاقر التي كانت عبارة عن حلي تزين بها المرأة خدها ، فكانت تعزز بخطاف صغير في خصلات الشعر الواقعة فوق الأذن من الأمام، يلي الخطاف عروة ملصقة بمثبت فضي تنتهي قاعدته بعدة عراوي تتدلى منها بتناسق عدة سلاسل فضية رفيعة ، وتنتهي هذه السلاسل بكرات فضية صغيرة ، عبارة عن أجراس ، وعندما كانت المرأة تحرك رأسها يصدر من هذه المشاقر صوتاً موسيقياً[171].

ج) التجارة :

1- التجارة الداخلية (الأسواق) :

الأسواق جمع سوق وهو موضع البيوع[172]، والسوق هو المكان الذي يتعامل فيها الجميع، وجاءت كلمة سوق في القرآن الكريم ، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ﴾ (الفرقان:20)، وتمثل الأسواق رمزاً للنشاط التجاري ، فيضم كل طائفة من التجار في قسم معين، ويمكثون إلى ما بعد الظهر، ولا يعودون إلى منازلهم إلا في المساء ، وجرت العادة أن تكون الدكاكين والحوانيت صفوفاً في مكان واحد[173]، ويؤكد ذلك ابن حوقل عند ذكر أسواق بني عامر والنوبة " أن أسواقهم مصفوفة"[174] ، مما يدل على الاهتمام بالأسواق وترتيبها والإشراف عليها، حيث يعد السوق مركزاً هاماً لاستقطاب التجار ومجالاً حيوياً للنشاط المالي ، وبهذا يعد السوق عنصراً أساسياً في رخاء المدينة وازدهار حياتها الاقتصادية والاجتماعية ، ومن هنا فقد كان الاهتمام بالسوق أمراً ضرورياً لإظهاره بشكل يناسب مكانة المدينة في النواحي الجمالية والتنظيمية .

وتنوعت مواضع الأسواق ومساحتها حسب نشاطها وصناعتها وخدماتها التي تؤديها ، فمنها ما كان يخدم أهل المدينة كلها ، ومنها ما اختص بتلبية الحاجات اليومية في المدن

---

[170] – سعاد ماهر محمد، الفنون الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة – مصر، 1986م ، ص278.

[171] – سعاد ماهر محمد، المرجع السابق، ص281.

[172] – ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص366.

[173] – الاصطخري، مسالك الممالك ، ص146.

[174] – ابن حوقل، صورة الأرض، ص187.

والقرى المجاورة فصغر حجمها ، وسميت سويقات [175]، ونتيجة لازدهار الصناعة وتوافر الثروات الطبيعية والمعدنية والنباتية والحيوانية في بلاد البُجة ، وخاصة معدن الذهب ، فقد انتشرت فيها الأسواق المتخصصة لبيع نوع معين من البيوعات، فقد كان هناك سوق لبيع الذهب الخام ، وآخر لبيع الحلي ، وثالث لبيع الفضة ومنتوجاتها، وسوق ابزازين " تجار الثياب " وسوق القلانسيين، والأساكفة وسوق القصابين، والخزارين ، والسراجين ، والحبالين ، والخشابين ، والفاريين ، والصائغين ، والنقاشين ، والبقالين ، والعطارين ، والصرافة ، والنساجين ، والسجادين ، والصوافين ، وأسواق الورق والزجاج ، والأواني الخزف ، وأسواق المواشي من إبل وأغنام وأبقار وخيول، ومنتجاتها من الألبان واللحوم ومختلف أنواع الطيور [176].

وكانت الأسواق في بلاد البُجة متعددة، فمنها الأسواق اليومية، ومنها الأسواق الأسبوعية، ومنها الأسواق الموسمية وكانت الأسواق تقام في ساحات كبيرة خاصة أسواق المواشي، أو بجوار المسجد الجامع كما هو الحال في غالبية أسواق المسلمين[177].

وكان لهذه الأسواق أثرها على الحياة الاقتصادية حيث لا يمكن لأحد أن ينكر أثر العامل الاقتصادي على بلاد البُجة، وقد وضح ذلك من خلال الصفقات التجارية التي عقدت بها، وأثرت على الأسعار بها[178].

أما الدور الاجتماعي للأسواق، فقد ساهمت الأسواق في نقل أنماط اجتماعية خاصة بالتجار الغرباء، الذين كانوا يقصدون بلاد البُجة للتجارة، وتأثيرها على أهل البلاد في المأكل أو الملبس أو غيرها من عادات اجتماعية، فقد كان التجار الغرباء يجدون لهم مأوى كالفنادق وخاصة التجار الميسورين، أما غير الميسورين منهم فكانوا ينزلون بيوت الناس أو بيوت الحرفيين والصناع، وكان التجار يجدون أماكن للدواب والبضائع، ومساجد يؤدون فيها الصلاة، أماكن لتناول الطعام [179].

وكان لأهل البُجة مكاييلهم وموازينهم، فقد ورد الكيل في القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ (المطففين – الآية3)، وقال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ

---

[175] – السويقات: جمع سويقة، وهو سوق صغير للبيع، ابن منظور، لسان العرب، مادة (سوق)، ج5، ص366.

[176] – ابن حوقل، صورة الأرض، ص188.

[177] – أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة – مصر، ط3، 1991م، ص301.

[178] – إيمان زكي، الحياة الاقتصادية في خراسان في العصر السلجوقي، ص184.

[179] –ابن حوقل، صورة الأرض، ص122.

إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (الإسراء– الآية 35)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَوْفُوا الكَيْلَ وَالمِيزَانَ بِالقِسْطِ﴾ (الأنعام – الآية 152)، وكانت أشهر مكاييلهم وأوزانهم، القفيز[180] وَالجريب[181]، والدانق[182]، والقسط[183] والرطل[184]، والمن[185].

2– التجارة الخارجية :

كان لأهل البُجة تجاراتهم الخارجية منذ قديم الزمان، مع كثير من البلاد كاليونان والرومان والهنود والفرس والعرب والصينيين وبلاد النوبة وغيرهم، بحكم غنى بلادهم بالمعادن التي صدروها إلى هذه البلاد[186]، فهي بلاد تمتد من النيل إلى البحر الأحمر، ويقصدهم التجار بالصوف والقطن والحيوان[187]، فقد كان لأهل تفلين إبل وبقر، ولا زرع لهم، وفيها مسلمون كثيرون يتاجرون، ويسافرون إلى مكة وغيرها[188].

وتعددت الطرق التجارية في بلاد البُجة والتي كانت تحمل تجاراتهم أو التجارات التي تدخل بلادهم، وتنوعت تلك الطرق ما بين طرق برية وأخري بحرية، حيث شهدت موانيء سواكن وعيذاب أشهر تجاراتهم، ومن الطرق البرية لديهم طريق محاليب (حلايب)، أسوان ومنه إلى قوص وقفط وأسيوط وسائر مصر، وكان هذا الطريق هو أهم طرقهم البرية إلى مصر، وكان طريقهم البري إلى بلاد النوبة عبر دنقلة وهي على ساحل النيل، وطولها مع النيل ثمانون ليلة ، ومن دنقلة إلى أسوان أول مصر مسيرة أربعين ليلة ، ومن أسوان إلى أدني بلاد النوبة خمس ليال، أما الطرق البحرية فكانت موانئ سواكن وعيذاب هي التي

180180 القفيز: من المكاييل التي تفاوت الناس في تقديرها، والأغلب أن القفيز يساوي 24.480 كيلو جرام، علي جمعة، المكاييل والموازين الشرعية، القدس للإعلان والنشر والتسويق، القاهرة – مصر، ط2، 2001م، ص39 – 40.

181 – الجريب: يساوي 48 صاعاً، والصاع تقريباً 2.04 كيلو جرام، فيكون الجريب 97.92 كيلو جرام تقريباً– ينظر:علي جمعة، المكاييل والموازيين الشرعية، ص41.

182 – لفظ معرّب مأخوذ عن اليونانية، ومقداره سُدس درهم، وهو يساوي قرابة 500 جرام – ينظر: علي جمعة، المكاييل والموازين الشرعية ، ص24

183 – القسط: يقدر بنصف صاع، وأصله من القسط بمعنى النصيب، وهو يساوي كيلو جرام واحد تقريباً– ينظر: على جمعة، المكاييل والموازيين الشرعية، ص38.

184 الرطل: معيار يوزن به، والرطل يساوي 128 درهم وأربعة أسباع، وهناك أوزان مختلفة للرطل فهناك الرطل العراقي والرطل الشامي والرطل المصري، والرطل المصري يساوي 449.28 جرام تقريباً – ينظر: علي جمعة، المكاييل وذالموازيين الشرعية، ص29 – 30.

185 – المن: مأخوذ من المنا الذي يوزن به ومقداره رطلان، وهو يساوي 773.5 جرام تقريباً– ينظر: على جمعة، المكاييل والموازيين الشرعية، ص28.

186 – محمد صالح ضرار، تاريخ شرق السودان "ممالك البُجة، قبائلها وتاريخها" ، ص88

187 – ابن حوقل، صورة الأرض، ص159.

188 – ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان ، ص122.

تصلهم بالعالم الخارجي بحراً، وتقع مدينة سواكن على الساحل الغربي للبحر الأحمر، على بعد 720ميلاً من ميناء السويس المصري، وبعد 285 ميلاً من ميناء مصوع الإرتري، و200 ميلاً من جدة، و1114كم2من الخرطوم، وهي عبارة عن جزيرة[189].

وسواكن مدينة تجارية قديمة العهد فهي تربط السودان بالحجاز والهند ومصر ويربطها بالسودان طريق بربر، وهي مركز تجاري مهم منذ عهد البطالمة وجعلها بطليموس فيلادلفوس مخزناً لسن الفيل[190]

أما ميناء عيذاب:

أشار البلاذري[191] إلى ميناء عيذاب عند حديثه عن الحملة التي قادها محمد بن عبد الله القمي من قبل الخليفة المتوكل على الله العباسي في عام (241هـ/854م) ضد قبائل البُجة، فيذكر أن محمداً بن عبد الله القمي استعان في حربه بالميرة التي حملتها المراكب من القلزم إلى ميناء عيذاب.

وتقع عيذاب على بحر القلزم وكانت ميناء مصر الأولى على بحر القلزم[192]، والمصادر الإسلامية لم تتفق على تحديد موقعها تحديداً قاطعاً، فالإصطخري يذكر أن عيذاب من مدن الحبشة[193]، وياقوت الحموي يحدد المسافة بينها وبين القصير بثمانية أيام، والمقريزي يذكر أن صحراء عيذاب مسافتها من قوص إلى عيذاب سبعة عشر يوماً ، ثم يصف موقعها في موضع آخر من كتابه، فيذكر أنها على ساحل بحر القلزم إلى الجنوب من القصير، وأن ساحل بحر القلزم يمتد بعدها إلى الحبشة[194].

استمدت عيذاب أهميتها من أهمية الدور الذي قامت به؛ فموقعها على بحر القلزم في نهاية الحدود الجنوبية لمصر، وارتباطها بطرق برية بمدن الصعيد الهامة مثل قوص وأسوان[195]، إلى جانب موقعها الذي يواجه جدة على الجهة المقابلة لساحل بحر القلزم [196]،

---

[189] – نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، ص121 –122.

[190] – بدوي الطاهر أحمد، أحمد إبراهيم دياب، المكونات الحضارية لمدينة سواكن وأثرها على قبائل البجة بشرق السودان،رسالة دكتوراة، جامعة أم درمان الإسلامية، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي، 1425هـ– 2004م، ص25.

[191] – البلاذري، فتوح البلدان ، ص282.

[192] – أبو معين الدين ناصر خسرو الحكيم القباديانى المروزي (ت481)، سفر نامه، تحقيق يحيي الخشاب، دار الكتاب الجديد، بيروت – لبنان، ط3، 1983م، ص72.

[193] – الإصطخري، مسالك الممالك ، ص54.

[194] – : أحمد بن علي بن عبد القادر تقي الدين المقريزي (ت845)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1418هـ ، ج1، ص202.

[195] – ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص39.

[196] – المقريزي، الخطط ،ج1، ص202.

كل ذلك جعلها من الموانئ التجارية المهمة، ومحطة مهمة في طريق قوافل الحجاج للحجاز، ومنفذاً لمعدن الذهب المتجمع من وادي العلاقي[197].

كانت عيذاب من المدن الصغيرة، فأكثر بيوتها أجصاص[198]، وكان أهلها يعيشون على صيد الأسماك واللؤلؤ ورعي الأغنام، ثم أخذت تنمو تدريجياً حتى ازدهرت، واستحدث فيها أبنية من الجص على أيام ابن جبير[199].

وكانت عيذاب تملك ميناءاً عميقاً غزير الماء، مأمون من الشعاب الناتئة[200]، التي تنتشر في بحر القلزم مما يسبب خطورة الملاحة فيها[201].

وكانت أكثر صادرات البُجة من الذهب والفضة والزبرجد، والزمرد والإبل والأغنام وغيرها تصدر عبر ميناء عيذاب[202]، خاصة بعد أن استقر كثير من العرب في أرض البُجة يقول المقريزي: " فكثرت بهم العمارة في البُجة، حتى صارت الرواحل التي تحمل الميرة إليهم من أسوان ستين ألف راحلة، غير الجلاب التي تحمل من القلزم إلى عيذاب"[203].

ومما سبق يتبين لنا أهمية ميناء عيذاب، حيث كان له قيمته المكانية التي أكسبته الأهمية التجارية على كافة المستويات، حيث كان لميناء عيذاب ظهير اقتصادي متمثل في أرض المعدن، وكذلك القبائل التي كانت قائمة على الاستفادة من هذا المورد الاقتصادي الهام، خاصة بعدما قامت القبائل الوافدة حديثاً إلى هذه المنطقة بمشاركة البُجة سواء بالزواج والمصاهرة أو بالشراكة التجارية والاقتصادية، حيث قامت بينهم صلات قوية ومتينة، وفي ظل هذا كان لميناء عيذاب دور كبير وهام في جلب احتياجات السكان من بحر القلزم عبر السفن المحملة بهذه الاحتياجات خاصة الطعام.

وكان لميناء عيذاب دور هام جداً في نقل الحجاج خاصة مع تحول قوافل الحجاج المصريين والمغاربة من طريق شبه جزيرة سيناء إلى طريق النيل، كما كان لميناء عيذاب دور في التجارة العالمية بين الشرق والغرب، حيث كانت السفن المحملة بسلع الشرق

---

197 – الإصطخري، مسالك الممالك، ص54 – أحمد دراج، عيذاب، مجلة نهضة أفريقيا، وزارة الثقافة، العدد التاسع والعاشر، القاهرة – مصر، 1958م، ص53.

198 – المقريزي، الخطط، ج1، ص203.

199 – ابن جبير، رحلة ابن جبير، ج1، ص42.

200 – آدم متز، الحضارة الإسلامية، ج2، ص319.

201 – أحمد دراج، عيذاب ، ص55.

202 – محمد صالح ضرار، تاريخ شرق السودان "ممالك البُجة، قبائلها وتاريخها" ، ص88: 90.

203 – المقريزي، الخطط ، ج1، ص203.

الأقصى والمحيط الهندي بجانبيه الأفريقي والعربي تنتهي إلى عيذاب، خاصة أن ميناء عيذاب كان يتميز بأنه مرفأ صالح لرسو السفن وإقلاعها دون أن تتعرض لأخطار الملاحة.

المبحث الثالث: الحياة الاجتماعية عند البُجة:

أ- نظام التوريث عند أهل البُجة.

كان البُجة يتبعون الشعوب الحامية في نظام التوريث، حيث كانوا يورثون ابن البنت وابن الأخت، وهذا النظام يعرف بنظام الأمومة، فأنسابهم من جهة النساء[204]، وقد استفادت القبائل العربية التي هاجرت إلى بلاد البُجة من هذا النظام الوراثي وخاصة قبائل ربيعة التي صاهرتهم، وبحكم الوراثة أصبح منها الحكام والملوك[205].

وكان البُجة يركبون الجمال الصهب وهي جمال فائقة السرعة يقومون بتربيتها ، وكذلك الجمال العراب ، وكانت جمالهم تتصف بشدة العدو –الجري– والصبر على العطش ، يسابقون بها على الخيل يقاتلون عليها ، وتدور بهم كما يشتهون ، ويقطنون عليها من البلاد ، وكان اعتمادهم في غذائهم على الألبان واللحوم وأكلهم للخبز قليل ، وسلاحهم الحراب السباعية، مقدار طول الحديدة ثلاثة أذرع ، والعود أربعة أزرع لذلك سميت السباعية ، وصناع هذه الحراب نساء ، ودرقهم الترس[206] من جلود البقر، وهناك درق من جلود البقر يعرف بـ (الأكسومة)، وهناك الدهلكية (من دابة البحر)[207].

ب- البيئة وأثرها في تشكيل الهوية البجية.

لأن الإنسان ابن بيئته، فقد تأثر البجيون ببيئتهم في تشكيل شخصيتهم، فكانت شخصية البُجة قاسية، يغلب عليها العنف في التفكير والمعاملة ولذلك هم يلجأون للعزلة[208].

فهم عبارة عن خلق كثير لا دين لهم ولا ملة ،لا يؤمنون بنبي أو إمام، وذلك لبعدهم عن العمران ، يسكنون صحراء طولها أكثر من ألف فرسخ ، وعرضها ثلاثمائة فرسخ ، وليس في هذه المسافة الشاسعة سوي مدينتين صغيرتين، الأولى تسمى بحر النعام ،

---

[204] – شيماء البنا، أرض البجة محوراً للصراعات السياسية الإسلامية ، ص137.

[205] – ضرار صالح ضرار، هجرة القبائل العربية إلى وادي النيل (مصر والسودان)، ص133.

[206] – الترس: عبارة عن صفحة فولاذية مستديرة بيضاوية الشكل، تحمل لوقاية الوجه والرأس من الضربات – ينظر: عبد الله الأسواني، أخبار النوبة، ص267 – شيماء البنا، أرض البجة محوراً للصراعات السياسية الإسلامية ، ص137، حاشية 17.

[207] – مصطفى مسعد، المكتبة السودانية ، ص91.

[208] – المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص13.

والثانية عيذاب ، وتمتد هذه الصحراء من مصر إلى الحبشة ، وذلك من الشمال والجنوب وعرضها من بلاد النوبة حتى بحر القلزم ، وذلك من الغرب إلى الشرق ، ويقيم بها البُجة ، ورغم ذلك لم يكونوا أشراراً ، فلا يسرقون ولا يغيرون إلا عند الاقتراب من موطنهم بل يشتغلون بتربية ماشيتهم، ويقال " إن الجِمال النجيبة لا توجد في مكان آخر غير هذه الصحراء ، وتنقل منها إلى مصر وبلاد الحجاز" [209]، وكانت خيامهم من الجلود وعلى الرغم من ذلك فإن البُجة قوم بادية، فهم جنس لا يرغب الشخص أن يكون صديقاً أو عدواً لهم ، وهم في تجول وحركة مستمرة بين البلاد ، يتبعون الكلأ وإذا وجدوا شيئاً ذا قيمة انقضُّوا عليه وسلبوه ، ولكل بطن منهم رئيس وليس عليهم متملك ولا دين لهم[210].

ج- بعض العادات والتقاليد للبُجة:

كان للبجة عاداتهم وتقاليدهم الموروثة عبر سنوات طوال، يقول نعيم شقير: " إن البُجة لونهم قاتم ويشبهون بدو العرب جداً في الملامح والأخلاق إلا أنهم أشرس أخلاقاً"[211]، ومن صفاتهم وعاداتهم الكرم والاحتفاء بالضيف والشجاعة والوفاء، وأورد محمد صالح ضرار عدداً من عاداتهم نحو المرأة وهي[212]:

1-المرأة لا ترعى أي ماشية، ولا تحلب ولا تغسل بتاتاً.

2-المرأة لا تحتجب عن أقاربها (أبناء عمومتها أو أخوالها لو كانوا من الجد الخامس أو السادس)، ولا تقابل أي ضيف أجنبي.

3-المرأة العروس لا تتكلم مع عريسها إلا بعد أن يدفع لها شيئاً، ولا تقابله وجهاً لوجه، كما أنها لا تأكل مع زوجها، ولا تقابل زوج ابنتها أو تأكل معه.

4-المرأة مسؤولة عن كل من يدخل البيت.

5-المرأة هي التي تطبخ اللحم والعصيدة، وكل مأكول بالمنزل، وهي التي تخض اللبن وتخرج منه الزبدة وهي التي تعمل السمن من الزبدة.

6-المرأة هي التي تتولَّى تربية الطفل حتى الرابعة، ولذلك يتكلم الطفل لغة أمه بطلاقة ولا يحفظ كلمة من كلام أبيه إن كان غير بجاوي.

---

[209] - أبو معين الدين ناصر خسرو الحكيم القبادياني المروزي (ت481)، سفر نامه، تحقيق يحيي الخشاب، دار الكتاب الجديد، بيروت - لبنان، ط3، 1983م، ص46- 47.

[210] - المقريزي، الخطط، ج1، ص194.

[211] - نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان ، ص189.

[212] - محمد صالح ضرار، تاريخ شرق السودان "ممالك البُجة، قبائلها وتاريخها" ، ص620.

7-المرأة هي التي تتولَّى دبغ الجلود، وحياكتها مع بعضها، حينما كانت الملابس من جلود الماعز فيصنعن منها إزارهن(كالإحرام).

8-المرأة هي التي تعمل الفرش والسجاد من وبر الجِمال وصوف الأغنام.

9- المرأة هي التي تخيط جلود العجول أو الماعز، ببعضهما بخيط من الجلد، بعد تمام دبغها فيخرج منها فرشاً ملوناً ناعماً جميلاً يستعمل في الأفراح، أو كستارة بين محل نومها وأطفالها وسرير والدهم.

10-المرأة لا تُطلع أحداً على شعرها إلا في حالات المأتم أي عند وفاة الزوج أو الأب أو الابن إن كان وحيداً.

11- المرأة لا تُطلع أحداً على جسدها إلا زوجها والأطباء فقط.

12- المرأة لا تعد متزوجة إلا إذا لبست زمام الذهب في أنفها، فهو كالسراج ينير لها المنزل.

13-المرأة هي التي تنصب البيت وتقوضه في الحل والترحال.

14-المرأة هي التي تدعو النساء كي يساعدنها في عمل الحصير وسرير الأم والأطفال ويسمى عندهم "أمباجيب".

15-المرأة لا تجلس على سرير زوجها والعكس.

16-العروس لا تقبل أن يلمسها عريسها إلا إذا دفع لها شيئاً من مال أو مواشي وكذلك عند النوم معها، وعند المحادثة، وعند وضع طفلها البكر.

17-المرأة لها مكانة محترمة عند عموم البُجة بلا استثناء، وإذا تظلمت من زوجها، يكون المصلحون في صفها ضد الزوج مهما كانت الزوجة مخطئة.

18-المرأة يندر جداً أن تطالب بحقوقها في الميراث .

19-المرأة لها صداقها من المواشي، قلَّ أو كثر، ناقة أو أكثر.

20-المرأة إذا تزوجت في قبيلة أجنبية، يكثر الصداق، والأثاث المنزلي.

21-المرأة لا تخاطب أو تقابل والد زوجها(حماها)، وهي تحترمه جداً، ويكون في صفها دائماً ضد ابنه.

22-يذبح الزوج لزوجته صباح وضعها لطفلها وفي يوم السابع، وعند إتمام مدة النفاس (أربعين يوماً).

23-تضع المرأة قليلاً من النار أمام بيتها عقب صلاة المغرب213.

24-وكان من عادة النساء البجيات قديماً، أنه إذا ولدت إحداهن جارية استحيتها، وإن ولدت غلاماً قتلته بحجة أن الرجال بلاء وحرب وقتال214، وعندما أسلم البُجة بطلت هذه العادة.

مما سبق يتضح لنا أن المرأة البجاوية كانت لها مكانة ومنزلة في بيتها وعند أهل زوجها ، وكانت تتميز بمزايا عديدة ، وكانت تُجيد كثيراً من الصناعات مع معرفتها بمسؤوليتها تجاه زوجها وبيتها ، كما كانت لغة المرأة البجاوية هي اللغة السائدة لدى الأطفال ، وكانت المرأة البجاوية ذات طباعٍ حميدة ، وتعتزُّ بنفسها وتُؤدي ما عليها على أكمل وجه ، كما كان لها تقديرها عند الشعب البجاوي .

213 – محمد صالح ضرار، تاريخ شرق السودان "ممالك البُجة، قبائلها وتاريخها" ، ص620.

214 – شيماء البنا، أرض البجة محوراً للصراعات السياسية الإسلامية ، ص137.

وتوضح هاتان الصورتان شكل سيدات البُجة وملابسهن وحُلِيِّهن.

شكل رقم (1) [215]

شكل رقم (2) [216]

[215] Zainab Sabra, The arts of traditional costumes and their complements with the "Halayeb, Shalateen and Abu Ramad" triangle Red Sea Governorate, , PAGE 110.

[216] Zainab Sabra, The arts of traditional costumes and their complements with the "Halayeb, Shalateen and Abu Ramad" triangle Red Sea Governorate, , PAGE 112

الخاتمة

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج والتوصيات والتي نشير إليها في النقاط التالية:

- أشارت الدراسة إلى موقع بلاد البُجة واختلاف الجغرافيين والمؤرخين فيه، وأنهم من الشعب الحامي.
- أوضحت الدراسة مساحة وحدود أرض البُجة ووصفها، فهي بلاد متسعة واسعة وأغلبها صحراء، قليلة الزراعة، حرفة أهلها الرئيسة هي الرعي.
- أشارت الدراسة إلى بعضٍ من الجوانب الحضارية في بلاد البُجة، حيث إنها بلاد لم تعرف النظم السياسية، كالممالك والإمارات إلا بعد الإسلام، فقد كان النظام القبلي هو المتحكم في كل أمورهم السياسية، وكان شيخ القبيلة هو المسيطر على كل القرارات.
- أبرت الدراسة أهم ممالك البُجة التي كانت خمس ممالك غير متحدة، وهي مملكة بلقين، ومملكة بازين، ومملكة ناقص، ومملكة جازين ومملكة قطاع.
- أبرزت الدراسة أحوال بلاد البُجة الاقتصادية فهي بلاد واسعة قليلة المياه والزراعات، كما أبرزت أهم المناطق الزراعية في بلاد البُجة.
- أشارت الدراسة إلى الثروة الحيوانية في بلاد البُجة والتي كانت مصدر غذائهم وزراعتهم وحلهم وترحالهم وأشهرها الإبل والخيول والأغنام.
- أبرزت الدراسة قلة الصناعات في أرض البُجة رغم توافر المواد الخام من المعادن، ولكنها كانت صناعات بدائية تناسبهم كصناعة البسط والملابس والسيوف والدروع وسرج الخيل والسلاسل والخلاخل الذهبية، وغيرها.
- أشارت الدراسة إلى أن شعب البُجة كان شعباً تجارياً منذ زمن بعيد، فقد كانت لهم أسواقهم، وكانت لهم تجاراتهم وصادراتهم وارداتهم.
- أوضحت الدراسة كيفية نظام التوريث عند البُجة حيث كانوا يورثون ابن البنت وابن الأخت وقد استفادت القبائل العربية وخاصة ربيعة من هذا النظام، فأصبحوا ملوكاً على هذه البلاد
- أشارت الدراسة إلى أثر البيئة في تشكيل الهوية البجية، فقد شكلت البيئة البجاوية شخصية البيجاوي القاسية والتي كان يغلب عليها التفكير والعزلة.
- أبرزت الدراسة بعض العادات والتقاليد البجية خاصة المتعلقة بالمرأة.

- توصي الدراسة بدراسة تاريخ الأمم والشعوب غير العربية، وخاصة الشعوب التي تركها الكثير من المؤرخين دون دراسة، لمعرفة كيف بدل الإسلام هذه الشعوب من شعوب بدوية همجية إلى شعوب مسلمة هذبها الإسلام وأقام لها دولاً.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

- **ابن الأثير، علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري المعروف (ت 630هـ):**

-الكامل في التاريخ، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1987م.

- **ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي الجوزي أبو الفرج (597هـ):**

-المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا – مصطفى عبد القادر عطا، الجزء الخامس، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1992م.

- **ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني (ت365هـ):**

-مختصر كتاب البلدان، تحقيق يوسف الهادي، دار الكتب، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1996م.

- **ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي (ت614هـ):**

-رحلة ابن جبير، تحقيق حسين نصار، مكتبة الثقافة، القاهرة – مصر، 1988م.

- **ابن حوقل، أبو القاسم بن حوقل النصيبي المعروف بابن حوقل (ت 367):**

-كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان، 1992م.

- **ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (ت257هـ)**

-فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة – مصر، 1997م.

-فتوح مصر وأخبارها، تحقيق الخواجة هنري ماسيه، مطبعة مجلس المعارف الفرنساوي الخاص بالعادات الشرقية، 1913م.

- **ابن كثير، أبو الفدا عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير (ت 774هـ)**

-البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مكتبة المعارف، بيروت – لبنان، 1990م.

- **ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (711هـ)**

-لسان العرب، دار صادر، بيروت – لبنان.

- **الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي الحسيني (560هـ)**

-نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة – مصر، 2002م.

- **الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري المعروف بالكرخي (ت346هـ)**

-كتاب المسالك والممالك أو مسالك الممالك، دار صادر، بيروت – لبنان، 2004م.

- **الألوسي، محمود شكري الألوسي البغدادي (1342هـ)**

-بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق محمد بهجة الأثري، دار الكتاب المصري، القاهرة – مصر.

- **الأندلسي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه (ت328هـ)**

-العقد الفريد، تحقيق مفيد محمد قميحة، الجزء الخامس، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1983م.

- **البلاذري، أحمد بن يحيي بن جابر البغدادي الشهير (ت 279)**

– فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطبّاع، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1988.

- **الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري (ت 429هـ)**

– ثمار القلوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة – مصر، 1985م.

- **الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري (ت 255هـ)**

-التبصر بالتجارة في وصف ما يستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأغلاق النفيسة والجواهر الثمينة، تصحيح وتعليق السيد حسن حسني عبد الوهاب التونسي، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر، الطبعة الثالثة، 1994م.

- **الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت (ت626هـ)**

– مُعجم البلدان، تحقيق محمد أمين الخانجي، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، القاهرة – مصر، 1906.

- **عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري**

– السيرة النبوية "سيرة ابن هشام"، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان.

- **القزويني، أبو عبد الله زكريا محمد بن محمود القزويني (605: 682هـ)**

آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت – لبنان.

- **المروزي، أبو معين الدين ناصر خسرو الحكيم القبادياني المروزي (ت481)**

– سفر نامه، تحقيق يحيي الخشاب، دار الكتاب الجديد، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، 1983.

- **المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت 346هـ)**

– مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، الطبعة الأولى، 2005م.

- **المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري (380 هـ)**

– أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة – مصر، الطبعة الثالثة، 1991م.

- **اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب إسحاق الشهير باليعقوبي (ت 284هـ)**

– البلدان، وضع حواشيه محمد أمين الضنّاوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

ثانياً: المراجع العربية

•ابن وحشية أبو بكر أحمد بن علي بن قيس الكسداني

-الفلاحة النبطية، تحقيق توفيق فهد، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق – سوريا، الطبعة الأولى، 1993م.

•جواد علي

-المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، المجمع العلمي العراقي، بغداد – العراق، الطبعة الثانية، 1993م.

•سعاد ماهر محمد

-الفنون الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة – مصر، 1986م.

•السيد عبد العزيز سالم

-التاريخ السياسي والحضاري للدول العربية، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، 1976م

•عبد الله حسين

-السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية، الجزء الأول، الناشر مؤسسة هنداوي، يورك هاوس، شييت ستريت وندسور، المملكة المتحدة، 1935م.

•عبد المنعم ماجد

-التاريخ السياسي للدولة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة – مصر، 1967م.

•علي جمعة

-المكاييل والموازين الشرعية، القدس للإعلان والنشر والتسويق، القاهرة – مصر، الطبعة الثانية، 2001م.

•فيليب حتي – أدورد جرجي – جبرائيل حبور

تاريخ العرب (مطول)، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت – لبنان، 1949م.

•محمد صالح ضرار

-تاريخ شرق السودان "ممالك البُجة، قبائلها وتاريخها"، مكتبة التوبة، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى، 2012م.

•محمد عوض محمد

-السودان الشمالي "سكانه وقبائله"، مطبعة لجنة التأليف والترمة والنشر، 1951م.

-نعوم شقير

-تاريخ السودان، تحقيق محمد إبراهيم أبو سليم، دار الجيل، بيروت – لبنان، 1981م.

•يوسف أبو قرون

-قبائل السودان الكبرى، الخرطوم ، 1959م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية المترجمة

- **ابن بصال، عبد الله محمد بن إبراهيم**

– كتاب الفلاحة، ترجمة وتعليق خوسي مارية مياس بييكروسا ومحمد عزيمان، مطبعة كريماديس، تطوان – المغرب، 1955.

- **آدم متز**

– الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة – مصر، 1974م.

- **جون لويس بوركهارت**

– رحلات بوركهارت في بلاد النوبة والسودان، ترجمة فؤاد أندراوس، السودان، 1849م.

- **م. س. ديماند**

– الفنون الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة – مصر، 1986م.

خامساً: الدوريات

•أحمد دراج

-عيذاب، مجلة نهضة أفريقيا، وزارة الثقافة، العدد التاسع والعاشر القاهرة – مصر، 1958م.

•شيماء عبد الحميد البنا

-أرض البجة محوراً للصراعات السياسية الإسلامية (241 :260هـ – 854 :873م)، مجلة المؤرخ العربي، العدد (26)، الجزء الثاني، 2018م.

•طالب جاسم حسن العنزي

-البجة واندماجها في الدولة العربية الإسلامية، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المجلد 15، العدد 14، 2011م.

•مصطفى محمد مسعد

-البجة والعرب في العصور الوسطي، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد "21"، العدد الثاني، 1959م.

•نادية ماجي

-مدينة أكسوم اليمنية بالحبشة "دراسة حضارية"، مجلة عصور، العدد 26 – 27، 2015م.

•Zainab Sabra

The arts of traditional costumes and their complements with the "Halayeb, Shalateen and Abu Ramad" triangle Red Sea Governorate, INTERNATIONAL JOURNAL OF DESIGN AND FASHION STUDIES, VOLUME 5, ISSUE 2, .2022

سادساً: الرسائل العلمية

• بدوي الطاهر أحمد

أحمد إبراهيم دياب، المكونات الحضارية لمدينة سواكن وأثرها على قبائل البجة بشرق السودان،رسالة دكتوراة، جامعة أم درمان الإسلامية، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي، 1425هـ– 2004م.

• مصطفى عفيف محمد علي

–علاقة بلاد النوبة والبجة بالدول العربية الإسلامية حتى عام 656هـ – 1258م، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة بغداد، 1999م.